الباب الأول

الواقع المصرى وقضية فلسطين

"العشرينيات - الثلاثينيات - الأربعينيات"

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

التيارات الفكرية والسياسية السائدة في مصر خلال العشرينات والثلاثينات والأربعينات فترة ما بين الحربين

التيار القومي الإسلامي:

برغم أن مصر لم تكن موطن ميلاد أي من الأديان العالمية الكبرى إلا أن أثرها في معظم تلك الأديان كان بارزا في تقبلها ونشرها وتكييفها حسب تراث مصر. ولقد تمسكت مصر بالإسلام وعاشت حياة إسلامية في تقاليدها وعاداتها ربما أكثر من أي بلد إسلامي آخر منذ أقبل الإسلام على مصر وأصبح دينها الرسمي والشعبي، وظل للإسلام نفوذه حتى في حالات انحلال مصر سياسيا وخضوعها للأجانب، كما ظل الأزهر وعلماء الدين الموجه الفكري والروحي للشعب حتى في أشد حالات التدهور الثقافي التي مرت بها مصر... وخلاصة القول أن المناخ الذي نشأ فيه زعماء مصر وقادتها من المفكرين والسياسيين كان مناخا إسلاميا، والأزهر هو المثال البارز على قوة المنهل الإسلامي في الفكر المصري. ولقد احتكر الأزهر المعرفة والتوجيه الفكري والسياسي للشعب المصري، وسد الفراغ الذي أحدثه غياب الزعامة السياسية الحقيقية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حتى مجيء محمد علي للحكم، فهو الذي قاد الثورات الشعبية ضد الفرنسيين ثم ضد المماليك والعثمانيين. وأستمر نفوذ الأزهر في ازدياد إلى ما بعد الاحتلال البريطاني لمصر، ومع إن التيار الإسلامي دعم الحركة الوطنية ضد الانجليز وكان الباعث الرئيسي للجهاد المقدس إلا أن هذا الجهاد كان في جوهره إسلاميا ولم يكن قوميا. ولم تكن الحركة الوطنية تقبل نظام قومي حديث يفصل الدين عن الدولة[1]، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يتجه أغلبية القادة المفكرين السياسيين في مصر في ذلك الحين اتجاها إسلاميا تبلور في

فكرة الجامعة الإسلامية التي حاول السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩) استخدامها كأداة تحقق له التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية، وتؤكد له سيطرته على الولايات العربية ولكن الحقيقة أن واضع الحجر الأساسي في فكرة الجامعة الإسلامية هو جمال الدين الأفغاني الذي لم تعقه جنسيته غير المصرية من التأثير في الفكر المصري وانشأ تيار ذي محتوى تحرري ومضمون معاد للاستعمار[٢]، وقد آمن به عديد من المفكرين ودعاة الإصلاح الديني في القرن التاسع عشر وأبرزهم الشيخ الأمام محمد عبده. وقد ظهرت هذه الدعوة في بدايتها على منبر صحيفة العروة الوثقي التي أسسها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في باريس سنة ١٨٨٤، ورأي الأفغاني أن المائتي مليون مسلم في العالم من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي يمثلون أمة واحدة، وآمن بوجوب جمع هؤلاء كلهم في رابطة سياسية واحدة لا تخلصهم من الأطماع الاستعمارية فحسب بل تسهل أيضا تطوير المفاهيم الإسلامية وتخلق من المجتمعات القديمة البالية مجتمعاً واحدا قويا وناهضا في مختلف حقول الحياة، وهذا يجمع بين تقوية دعائم الخلافة وتدعيم الدولة العثمانية وبين محاربة الاستعمار الأوروبي الذي يستهدف القضاء على الإسلام والسيطرة على الشعوب الإسلامية[٣].

وقد تطورت الرؤية الفكرية لجمال الدين الأفغاني خلال مرحلتين رئيسيتين.

١- المرحلة الأولى

وتمثلها مقالات مجلة العروة الوثقى التي صدرت في باريس سنة ١٨٨٤. وكان جمال الدين الأفغاني يعول أهمية كبيرة على العامل الديني ويهمل تماما العامل القومي، ولذلك كان يري أن الدولة العثمانية هي القوة الوحيدة المؤهلة للتصدي للاستعمار الأوروبي المسيحي وحماية الإسلام والمسلمين متغافلا عن الحركات القومية التي كانت وحدها في ذلك الوقت مهيأة لصد الغزو الأوروبي. فنراه يكتب في العدد التاسع من المجلة تحت عنوان الجنسية والديانة الإسلامية فيقول..." أن المتدين بالدين الإسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتفت عن الرابطة الخاصة بالرابطة العامة وهي علاقة المعتقد، لهذا نرى العربي لا ينفر من

سلطة التركي، والفارسي يقبل سيادة العربي والهندي يذعن لرياسة الأفغاني ولا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض[٤]، كما كان جمال الدين الأفغاني يكرر دائما في مقالاته المقولة الخاصة بان المسلمين رابطتهم العامة أقوى من روابط الجنسية واللغة ولا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، وكان يخلط في هذه المرحلة بين دعوته إلى الجامعة الإسلامية كتضامن مشروع للشعوب الإسلامية ضد الاستعمار الأوروبي وكوسيلة لإعادة الشروق إلى مسيرته الأولى من الرقي وبين الخصائص القومية، فقد كان يري أنه لن تقوم للشرق قائمة إلا إذا كان الإصلاح يعتمد على أساس ديني، وهذا الاصلاح لن يؤتي ثمرته إلا إذا صحبه شعور بقوة التربية القائمة على أساس الدين وأنه لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم.

٢- المرحلة الثانية

ويظهر فيها اهتمام الأفغاني بالعامل القومي أكثر من ذي قبل وان كان يجعل الغلبة للعامل الديني فتراه يتحدث عن اللغة كسمة قومية، ففي رسالة له باللغة الفارسية بعنوان مقالات جمالية يقول:

لا سعادة إلا بالجنسية ولا جنسية إلا باللغة ولا لغة ما لم تكن حاوية لكل ما تحتاج إليه طبقات أرباب الصناعات والخطط في الإفادة والاستفادة، وأن الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان، وحدة اللغة ووحدة الدين، ووحدة اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الجنسية. واللغة أشد ثباتًا دوما من الدين ولذلك نستطيع أن نقول أن تأثير رابطة اللغة في هذه الدنيا أقوي من تأثير رابطة الدين[٥].

وبرغم أهمية هذا التطور الذي نلحظه في فكر الأفغاني، فقد ظل إيمانه بالجامعة الإسلامية هو الأساس، وقد حجب ذلك عن عينيه حقيقة الأوضاع النضالية لدي الحركات القومية العربية المناهضة للحكم التركي، وسعيها للاستقلال عن العثمانيين شركائهم في الملة وأعدائهم في القومية وتنحصر أهمية الدور الذي قام به الأفغاني في المجتمع لمصري في أنه خلق تيارا فكريا أمن به عديد من قادة الفكر السياسيين المصريين. وقد حجبت الدعوة الإسلامية التي كان الأفغاني مصدرها الأول في مصر

القومية العربية فترة من الوقت وأخذت مكانها، ولقد قدمت صحيفة العروة الوثقي الاساس النظري والفكري الذي قام عليه الحزب الوطني بزعامة مصطفي كامل... ويتلخص في ثلاث نقاط:

أولا: أن المسألة المصرية مسألة دولية فيجب الاستعانة بأوروبا لأكراه انجلترا على الجلاء عن مصر.

ثانيا: ضرورة التشبث بالدولة العثمانية باعتبارها الدولة صاحبة السيادة الشرعية على مصر.

ثالثا: الدعوة للجامعة الإسلامية ولكن على أساس التفاف الشعوب الإسلامية حول الدولة العثمانية... ولقد كان طبيعيا أن يؤيد مصطفي كامل حركة الجامعة الإسلامية تحت لواء السلطان العثماني، وذلك لأنه كان يعتمد في مطالبته بالجلاء وتمتع مصر باستقلالها الذاتي على ما لديها من حقوق دولية في مصر تكفلها معاهدات واجبة الاحترام ولهذا كان يدعو الشعوب الإسلامية إلى الالتفاف حول الدولة العثمانية لشد أزرها(٦).

ولكن قيام الحرب العالمية الأولى وما صاحبها من تغيرات في الخريطة السياسية العالمية أبرزها نجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا سنة ١٩١٧ وقيام الاتحاد السوفييتي، وانهيار تركيا في الحرب، بالإضافة إلى الظروف المحلية داخل المجتمع المصري التي اتسمت بتصاعد الصراع الوطني ضد الاحتلال الذي بلغ ذروته في ثورة مصر القومية سنة ١٩١٩، كل ذلك أدي إلى الخلافات الفكرية والسياسية وتدفقت جميع التيارات في تيار وطني واحد يمثل صوت الأمة بأكملها: الاستقلال التام أو الموت الزؤام دون الارتباط بأية دولة سواء عربية أو إسلامية، وقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد هبوط المد الثورى الذي اشاعته ثورة ١٩١٩ وأخذت تظهر فيها تكتلات سياسية هي امتداد لما كان قبل ١٩١٤، فدولة الخلافة كانت قد انقلبت إلى دولة عصرية مستغربة والخلافة نفسها أصيبت في الصميم. وفكرة الجامعة الإسلامية

أصيبت بانكسار واضح بعد تحالف العرب مع الغرب المسيحي ضد دولة الخلافة أثناء الحرب[٧].

كما أن معظم القوى السياسية الممثلة في الحزب الوطني قد صفيت وتم تشتيتها على يد اللورد كيتشنر، بالإضافة إلى التغييرات التي ترتبت على نشوب الحرب العظمي، وأبرزها تحالف فرنسا وانجلترا وانهيار الدولة العثمانية مما هدم ركنا أساسيا من الأركان الأيديولوجية للحزب الوطني فضلا عن تبني بعض قادة الحزب للخط الليبرالي القومي ثم ما أعقب ذلك من سيادة التيار الليبرالي ذلك التيار الداعي إلى الآخذ بمفاهيم العصر واقتباس أسباب التفوق الأوروبي. وكان من الطبيعي أن يتزعم هذا التيار نخبة من أولئك الشباب الذين تلقوا دروسهم في سلك التعليم العلماني واستكملوها في انجلترا وفرنسا، وقد كان من أبرز دعاة هذا الاتجاه احمد لطفي السيد. والواضح أن هذا التيار وكان قد بدأ على استحياء منذ مطلع القرن التاسع عشر ثم نما في ظل الاحتلال البريطاني إلا أن نطاقه قد اتسع خلال فترة ما بين الحربين[٨] وقد شهدت هذه الفترة صراعا حادا بين السلفيين والليبراليين شمل مختلف جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية، ففي غمرة انتصار الليبراليين في أوائل العشرينات ارتفعت الأصوات منادية بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة وإلغاء المحاكم الشرعية وتعديل قوانين الأحوال الشخصية. وناقش البرلمان المصري في دورته عام ١٩٢٦ وضع الوقف الأهلي الذي ارتفعت الأصوات تطالب بالغائه. وقد نظر السلفيون إلى كل هذه الإجراءات باعتبارها بدعا جاءت في ركاب الهجوم على الأفكار والنظم التقليدية، خاصة وانها جرت في الوقت الذي الغيت فيه الخلافة في تركيا سنة ١٩٢٤ مما جعلهم على استعداد لشن هجوم على الأفكار والنظم المستوردة من الغرب، وانفجرت الأزمة بعد نشر كتاب، الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، ثم كتاب طه حسين" في الشعر الجاهلي"، وقد ربط السلفيون وعلى رأسهم رجال الأزهر بين هذين الكتابين والمؤثرات الغربية التي أخذت تتغلغل في المجتمع المصري منذ القرن التاسع عشر، ولهذا نعتت هيئة كبار العلماء كتاب الإسلام وأصول الحكم بأنه مناقض للشريعة مما ترتب عليه فصل على عبد الرازق من وظيفته في القضاء التشريعي، كما اتهم طه

حسين بالشك في أمور تتعلق بالدين الإسلامي، وأنكر ما اتهم به، ومع ذلك فقد ظلت الصحف الحزبية تهاجمه هجوما عنيفا كاد يعصف بالجامعة المصرية في بدء عصرها[٩].

وبرغم أن السلفيين كانوا قد رحبوا بإدخال النظام البرلماني المقتبس عن الغرب دون أن يتنبئوا بأثر النظام الجديد على الشرعية ذاتها فإنهم ما لبثوا أن أحسوا أن سلطتها قد انتقلت من يد الله إلى مجلس علماني. كما وجدوا أفكار دعاة الإصلاح قد تحولت من الفقهاء إلى المشرعين، وخلصوا من هذا كله إلى اعتقادهم باستفحال الخطر الذي يتهدد المعتقدات والنظم التقليدية وذلك بعد أن أوضحت النتائج المترتبة على المفاهيم الحديثة أنها تتناقض مع فكر التيار السلفي[١٠] وقد امتد نشاط السلفيين من منابر المساجد ومراكز التعليم الديني إلى قاعات البرلمان وأعمدة الصحف والمجلات، وقادت هذه الحملة مدرسة المنار بزعامة رشيد رضا خليفة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وهو الذي تولى تفسير آرائها كما تزعم قيادة رد الفعل الإسلامي ضد تحريف الدين. وقد التقي مع الأفغاني ومحمد عبده في الدعوة إلى تجديد حيوية الدين الإسلامى والحفاظ على القيم الدينية. ولا شك أن هؤلاء المفكرين الثلاثة أعمدة التيار الإسلامي في مصر يلتقون في الاتجاه الخاص بضرورة أن يشكل الإسلام أساسًا قوميا يمكنه التصدي للاتجاهات العلمانية التي كانت تتضمنها النزعات القومية الحديثة[١١]، وتمثل مدرسة المنار الجانب الفكري والفلسفي في التيار الإسلامي وتعد امتدادا لمدرسة الأفغاني والشيخ محمد عبده مع بعض الاختلافات وكان رشيد رضا يهدف من إصدار المنار سنة ١٨٩٨ إلى مواصلة السير على نهج العروة الوثقى "إلا فيما يتعلق بخطتها السياسية التي أصبحت غير ملائمة للظروف السياسية آنذاك" والعمل لنفس الغرض الذي كانت تعمل له صحيفة العروة الوثقى وهو نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وكان لابد أن تصطدم المنار بدعاة الفكر الليبرالي فقد كان المنار يؤمن فقط بالأخوة الإسلامية التي تتجاوز حدود الأوطان[١٢].

وكان رشيد رضا يدعو الى توحيد المسلمين والدفاع عن الإسلام والتصدي لأعدائه كما كان يري أن تحقيق رسالته على أحسن وجه يتطلب عدم التمسك بالعقلية

obeikandl.com

الغربية أو تقليد الغرب تقليدا أعمي. وقد حاول أن يرد على جريدة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين" دعاة الليبرالية القومية"، التي كانت تدعو إلى وطنية لا يدخل فيها الدين ولا اللغة، فأشار إلى أنه من دواعي الحماقة ومحاولة القضاء على أمة بتدمير كل ما يشكل أصالتها ومعتقداتها وغرائزها وروحها المعنوية وأدبها وعاداتها، وأن من الخطورة بمكان محاولة أحلال العاطفة القومية القائمة على الجنس محل التضامن الإسلامي. فهذه المحاولة في رأية ليست فقط مصدرا لفرقة المسلمين بل هي أقرب إلى المروق عن الدين. فالشريعة التي هي أثمن القوانين بإمكانها أن تتمشى في كل الصور مع ظروف الحياة المتغيرة[١٣]. ومن هذا المنطَلق دعا رشيد رضا إلى فكرته التي نقلها عنه فيما بعد حسن البنا وهي تأليف جمعية إسلامية تمتد فروعها في جميع أقطار الإسلام وتقوم على مبدأ أساسي هو الاعتقاد بأن الأخوة في الإسلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية وتؤلف بين المسلمين في الخضوع لناموس واحد في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام الشرعية والمدنية.. مع الدعوة لأن يكون للكل لغة واحدة هي اللغة العربية، والقضاء على البدع والتعاليم الفاسدة، والعمل على نشر الإسلام، وكان رشيد رضا ينصح بابتعاد الجمعيات الدينية والتعليمية عن الاشتغال بالأعمال السياسية لأنه رغم عدم انفصال الدين عن الدولة في الإسلام إلا أنه يجب على جميع أولئك الذين يشتغلون بالدفاع عن الإسلام أو شئون التعليم والوعظ أن يبتعدوا عن السياسة ويتجنبوا الاشتغال بها[١٤].

ويرى د. احمد طربين أن مدرسة المنار الإسلامية الإصلاحية بزعامة رشيد رضا وما نشرته من مقالات كان لها أثر كبير في تطور التفكير الديني المصري في فترة ما بين الحربين كما قامت بدور رئيسي في خدمة التيار العربي في مصر، إذ لم يتردد رشيد رضا في تحميل الشعوب غير العربية مسئولية انحطاط العالم الإسلامي، وقد صرح بأن الدين الإسلامي هو دين عربي في مبدئه وأساسه ولم يكن مبتدعا في ذلك لأن هذه الفكرة كان قد أوردها الكواكبى (١٨٤٩- ١٩٢٠) .. في كتابه أم القرى. كما أن الشيخ محمد عبده كان يشير إليها أحيانًا حتى أتي رشيد رضا وعمقها وأغني مفاهيمها، وخاصة بعد أن قام الشريف حسين بثورته على الترك حيث يأس من

إصلاح رجالاتهم ويأس من بناء الدولة العثمانية.. وكان يردد مقولتـه الـشهيرة ؟ أو ليس من قصر النظر ألا نعمل للوحدة العربية ونبقى فزعين من دعوتهـا أو جامـدين إزائها؟ لئن اختلفت الحركة الإسلامية مع الحركة العربية في الأهداف البعيـدة فهمـا يلتقيان في الغايات العربية لأن كلتيهما تضعان مسألة تحريـر العـرب فـي مقدمـة برامجها. أو ليس من الخير أن يكون التجمع العربي تجمعا وقتيا للقـوى الإسـلامية يستهدف تجمعاً أوسع منه"(١٥).

التيار الإسلامي في الصحافة المصرية

لقد استمرت معظم الصحف المصرية طوال القرن الماضي تردد أفكـار جمـال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتخاطب وجدان العالم الإسلامي حتـى جـذبت أنظـار المسلمين إلى مصر، وقد تبنى السلطان عبد الحميد (١٨٧٦– ١٩٠٨) الـدعوة إلـى الجامعة الإسلامية حرصا على استمرار السيادة التركية علـى الأراضـي العربيـة، وتوثيقها لعلاقة العرب بالأتراك، وإزالة للنفور الذي بدأ على العرب بعد صدمتهم في حركة الإصلاح على الطريقة التركية ومن أقوال السلطان عبد الحميد في هذا الشأن: "إن أوروبا تحاربنا حربا دينية في قالب سياسي وهو يهدف بهذا القول إلـى اسـتنفار المسلمين في الشرقين الأدنى والأقصى لينضموا تحت لواء الخلافـة الإسـلامية فـي واجهة الأطماع الأوروبية(١٦). وقد وجدت فكرة الجامعة الإسلامية ترحيبا حارا مـن الحزب الوطني ممثلا في زعيمة مصطفي كامل وفي هذا يقـول (إننا نحـب الدولـة العثمانية لأننا قبل كل شيء نريد أن نرى أمة شرقية تصدر منها الأنوار إلى كل أمـة شرقية ولأننا بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمى المسلمين في الـشرق وتحفـظ الـبلاد الطاهرة المقدسة في مملكة الخلافة الإسلامية وهي في الحقيقة مملكتنا وقبلتنا التي إليها نلجأ ونحوها نتجه)(١٧) وقد كان تعلق المصريين بالخلافة الإسلامية أمرا ملحوظا حتى من الانجليز أنفسهم، فعند إعلانهم الحماية على مصر سنة ١٩١٤ جاء في بلاغ سلطة الاحتلال إلى السلطان حسين ما يوحي إلينا بتقديرهم لخطورة ما أقدموا عليه. يقـول ممثل الاحتلال" ولا أري لزوما لأن أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومتنا لمصر من بقية

obeikandl.com

أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجا من أي عداء للخلافة فإن تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على أن أخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية بين مصر والآستانة"[١٨]

بعد ذلك جاء مصطفي كمال أتاتورك والغي الخلافة وكان لهذا الحدث آثاره الأليمة لدى كثير من أنصار التيار العثماني في مصر، ومنذ ألغيت الخلافة نشط الأزهر، وبرز اسم مصر كمركز من أهم مراكز النشاط الإسلامي لمعالجة مشكلة الخلافة، وكثرت الدعوات لعقد مؤتمر إسلامي حيث راجت الشائعات بترشيح الملك حسين بن على للخلافة، وبرز حينئذ اسم الملك فؤاد مرشحا لها تقديرا لمكانة مصر في العالم الإسلامي، ولأنها تضم الأزهر أعرق الجامعات الإسلامية[١٩]، بيد أن هذا المؤتمر الذي أجل مرارا ولم يعقد سوى مرة واحدة في ١٣ مايو ١٩٢٦ لم يسفر عن شيء ووضعت العراقيل في سبيله وأحبط مندوبو الدولة الإسلامية المساعي المبذولة لترشيح الملك فؤاد واختلف علماء الأزهر فيما بينهم، وشاركت الصحافة في المعركة وكتب على عبد الرازق في السياسة الأسبوعية يقول، "كانت مسألة الخلافة دفاعا عن مقام معين يراد الاحتفاظ به كأثر يحتاج إلى العناية، وكمريض يحتاج إلى الحماية، ولكن ذلك الأثر قد بطل، وانتهي أمر ذلك المريض. واتجه الرأي إلى العمل على إيجاد مقام جديد يحل محل الآخر الذاهب".. ثم يقول: "والغريب أن نلاحظ أن مسألة الخلافة لم تثر شيئا من الاهتمام في مملكة من الممالك الإسلامية ذات الاستقلال الحقيقي، وإنما يهتم بالخلافة تلك الأمم التي لا تملك أمر نفسها ولكن يحركها الأجنبي ويقلبها ذات اليمين وذات الشمال"[٢٠]. ولكن برغم ذلك ظل التفكير في الخلافة الإسلامية يساور الناس كلما نزلت ضائقة بالعالم الإسلامي أو كلما برز طموح الملك فؤاد وخليفته فاروق في الاستئثار بمنصب الخليفة.

تيار البعث الإسلامي في الصحف الدينية:

سيدهش مؤرخ الصحافة من كثرة المجالات الإسلامية التي صدرت في مصر بين الحربين وأبرزها مجلة المنار التي أصدرها محمد رشيد رضا بوحي من الشيخ

محمد عبده، وأفاد من توجيهاته وخبرته، وقد صدر العدد الأول من المنار الأسبوعية في شوال ١٣١٥ ثم تحولت إلى مجلة شهرية في العام الثاني واستمرت في الصدور إلى أن مات صحابها في أغسطس ١٩٣٥ بعد أن لاحقته إليه وهو نشر الإصلاحيات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لايتناقض مع الظروف الحاضرة. وقد نوه الشيخ رشيد في هذه المقدمة بأن أنشأ المنار مواصلة للسير على نهج العروة الوثقى وبخاصة في سعيها للقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة في الإسلام.. ودفع الأمم الإسلامية على مباراة الأمم الأخرى في جميع الأمور الضرورية لتقدم الإسلام[٢١]. وعلى شاكلة المنار سارت عدة صحف إسلامية أبرزها الفتح لمحب الدين الخطيب التي صدرت سنة ١٩٢٦، وحضارة الإسلام سنة ١٩٢٥، لعلي محمد شراب، والهداية الإسلامية سنة ١٩٢٨ لمحمد الخضر حسين، ونور الإسلام ١٩٢٩، والجامعة الإسلامية سنة ١٩٣٢، لعلي عبد الرحمن الخميس، وهدى الإسلام سنة ١٩٣٤، لمحمد احمد لصيرفي. وفي محيط هذه المجلات وغيرها نشط تيار البعث الاسلامي والدعوة له في مصر وخارجها، وتنوير مختلف قضاياه لقراء العربية. وقد وضعت مجلة الفتح برنامجا إسلاميا في مقدمة عددها الأول يهدف إلى أحياء ذكري المدنية الإسلامية، ومقاومتها الإلحاد ودعوي التجدد الكاذب، وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الإسلامي. وقد مضى هذا التيار في المجلات الإسلامية تغذيه الأحداث النازلة بالعرب والمسلمين، مثل جرائم فرنسا ففي شمال إفريقيا ومحاولتها القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية في المغرب العربي، وجرائم ايطاليا في ليبيا وتنكيلها بالزعماء المسلمين، وحادث البراق في فلسطين ١٩٢٩، ثم حملات التبشير المنظمة التي نشطت وقتذاك، وحينما توالت اعتداءات فرنسا على المغرب العربي اندفعت الأقلام في مصر تؤيد المسلمين، وحملت "الفتح" على الصحف التي تكيد للإسلام كالهلال والأهرام التي كانت تعتبرها الفتح لسان حال الفرنسيين في مصر وترى أنها "شر وسيط بين الإسلام وفرنسا"[٢٢]، وذلك بسبب موقف الأهرام من أحداث المغرب العربي إذ كانت تتهم من يعارض الفرنسيين في المغرب العربي بأنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها.

وتطور تيار البعث الإسلامي وتجاوز المجلات الدينية إلى سواها من المجلات مثل مجلة البيان التي كتب على صفحاتها أحمد زكي "صفحات من تاريخ الأندلس" وسار البرقوقي على مناهجه(٢٣). وقد اتجهت البيان إلى نقل ما كتبه المتصوفون عن الإسلام وعند صدور مجلة الرسالة عام ١٩٣٣ حرصت على إصدار عدد ممتاز احتفالا بذكرى الهجرة المحمدية كل عام. وقد اقتدت بالرسالة مجلات أخرى مثل مجلة شهرزاد القصصية التي كانت تصدر أعدادا ممتازة في ذكري مولد الرسول واعدة أن تكون هذه الأعداد مصرية عربية خالية من القصص المترجم. وبقدر ما كان ذلك تعزيزا لتيار البعث الإسلامي، فإنه كان مسايرة لاهتمامات القراء وترويجا للمجلة.

التيار المصري (تيار القومية المصرية).

من أبرز سمات التيار المصري (تيار القومية المصرية) إنه لم يؤطر في صيغة نهائية، ولم يبرز في الفكر المصري كنظرية محددة شأن النظريات القومية العربية أو السورية أو اللبنانية. فقد ظل اتجاها عاما ينظر إليه كل واحد من المؤمنين به من زاويته الخاصة، وحسب مفاهيمه، دون أن تتبلور نظرته مع نظرات زملائه لتكون قاعدة فكرية شاملة. والواقع أن مصر التي تربط بين القارات الثلاث، فتصل بين اثنتين منها برا، وبين الثالثة بحرًا، قد ارتبط تفكيرها القومي بالقارات الثلاث أيضا فأخذت عن آسيا القرآن وما يفرضه على المسلمين من أخوة تفوق الأخوة القومية، وأخذت عن أوروبا القومية بمعناها الإقليمي الضيق (نظرية حوض البحر المتوسط). أما عن أفريقيا فقد أخذت مصر تراثها الفرعوني الغابر في مجال التاريخ وتراثها النيلي المعاصر في مجال الجغرافيا(٢٤)

وأوربا هي المنهل الثاني بعد الإسلام للفكر المصري في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وقد استقت مصر من هذا المنهل إما عن طريق بعثات طلابها إلى أوروبا أو عن طريق الأوروبيين الذين أقاموا في مصر عن طريق حركة الترجمة التي نقلت الفكر الأوروبي إلى اللغة العربية. وليس صحيحا ذلك القول الشائع أن أول من دعا هذه الدعوة "أن مصر جزء من البحر المتوسط، هو الخديوي إسماعيل يوم أن

قال كلمته المعروفة... أن مصر قطعة من أوروبا". حقيقة أن إسماعيل يوم أن قال هذه الكلمة إنما كان يعيش في إطار من الفكر والنفوذ الفرنسي الذي أخذ يتزايد في مصر منذ حكم سعيد ومنذ أن حصل فرديناند ديليسبس على امتياز حفر قناة السويس. ولكن ظهور النظرية قد سبق هذه الفترة التاريخية بزمن طويل، فلقد كان مفكرو البورجوازية الفرنسية هم أول من جعل من هذه الفكرة نظرية وحاولوا أن يضعوها موضع التطبيق عن طريق الحملة الفرنسية موضع التطبيق. وتتلخص هذه النظرية في أن فرنسا ومعها بلاد الشمال الأفريقي ومصر ودول الساحل الشرقي للبحر المتوسط إنما تعيش جميعها حول البحر المتوسط، وأنه لو صنعت رابطة ما لهذه الأقطار فمن الممكن أن تتقارب وأن يتحول هذا التقارب إلى سيطرة فرنسية على هذه الأقطار وتبعية من جانب هذه الأقطار لفرنسا توطئه وتبريرا للسيطرة السياسية التي تتطلع فرنسا إلى فرضها على هذه الشعوب. وقد استخدم الفرنسيون هذه النظرية كواجهة حضارية ودافعوا عنها كثيرا بالفكر والسلاح. وقد أرادوا من ورائها إثبات أن شمال أفريقيا والجزائر إنما هي قطعة من فرنسا وأن سكانها مسلمون فرنسيون وأنها الامتداد الفرنسي في أفريقيا. وطبقا لهذه النظرية كان الفرنسيون يرون كما قال أحد مفكريهم.. أن السوريين ليسوا بعرب وأن كانت لغتهم عربية واللبنانيون يختلفون عن العرب وعن السوريين في آن واحد. إنهم فينيقيون، والمسيحيون منهم هم أبعد الناس عن العرب والعروبة لأنهم من أحفاد الصليبيين الذي أتوا إلى سوريا ولبنان من مختلف البلاد الأوروبية ولاسيما فرنسا"(٢٥)

وقد تم اللقاء الحضاري الأول بين مصر والمغرب، بعد انفصال دام قرونا عديدة، في أكناف الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر، وكان اللقاء حارا مع أنه كان قصيرا. ولكن الأثر الفكري والعلمي الذي تركته الحملة الفرنسية في مصر كان أعمق بكثير من الأثر السياسي والعسكري لتلك الحملة. فبعد أن أنسحب الفرنسيون وتحررت مصر منهم استمرت الأفكار التي زرعتها الحملة تتغلغل في أوساط المجتمع المصري. وقد واصل محمد على نفس المسار، إذ سمح للكثيرين من علماء الحملة بالبقاء في مصر ومواصلة أعمالهم وأبحاثهم، كما شجع نشاطات أخري

علمية وتربوية وفكرية، فأمر بترجمة عشرات الكتب عن اللغات الأجنبية واقتبس العلوم الأوروبية في الطب والهندسة والجيش والحقوق. واستقدم كلوت الفرنسي وولاه إدارة الشئون الطبية وأسس ديوان المدارس وبني عشرات المدارس في مصر. وأوجد طبقة جديدة من الموظفين والمهندسين والإداريين والحقوقيين وعلماء الطبيعة والزراعيين والخطاطين والطباعين. وقد تمكن محمد على من انجاز هذه النهضة العلمية الشاملة بمعاونة البعثات التي أرسلها إلى أوروبا وخاصة فرنسا وقد أعاد هؤلاء الصلة التي أنشأتها بين البلدين بعثة الحملة الفرنسية العلمية ١٧٩٨[٢٦]

وامتداد لهذه النظرية التي أرساها ورعاها مفكرو البورجوازية الفرنسية كان الفكر والموقف السياسي الذي عبر عنه الخديوي إسماعيل والذي استمر يتردد في مصر عاليا تارة وخافتا تارة حتى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان من أبرز المتأثرين بالعقلية الفرنسية في ذلك العهد كل من الشيخ الإمام محمد عبده وأحمد عرابي. وكان الأول قد اطلع على نظريات الإصلاح الأوروبية وهو في مصر ثم ازدادت معرفته في فرنسا أثر اختلاطه بكبار المستشرقين وفي مقدمتهم دي ساسي، أما أحمد عرابي فيرجع تأثره بالفكر الأوروبي إلى العلاقة الوثيقة التي تربطه بالأفغاني ومحمد عبده وطلابهما من ناحية وبقراءاته في التاريخ الأوروبي من ناحية أخرى[٢٧]

وقد فتحت أبواب مصر على مصراعيها أمام المؤثرات الأوروبية التي أشتد ساعدها في عهد الاحتلال البريطاني، ففي ربع القرن السابق على الحرب العالمية الأولى ازدهرت الثقافة المصري التي عرفت داروين ونيشته وأوجست كونت والروائيين الروس والفابيين البريطانيين ودعاة المذهب النفعي. هذا بالإضافة إلى الكتاب الفرنسيين أمثال فولتير وروسو ومونتسيكيه وكذلك سيجموند فرويد وجوستاف لوبون وغيرهم من المفكرين الأوروبيين المعاصرين[٢٨]

ورغم أن المثقفين المصريين كانوا لا يزالون في مجموعهم معادين للغرب الذي اعتبروه خطرا على مقوماتهم الثقافية فإنهم رحبوا بالحضارة الغربية أكثر من ذي قبل.

ثم ما لبث أن ظهرت جماعات فكرية تتبنى النظرية المتوسطية وتدعو لها. إذ ذهبوا إلى أن مصر كانت تمثل باستمرار جزءا من حضارة البحر المتوسط التي شملت أوروبا والشرق الأدنى. وقد قيض لهذا الرأي الذي نادي به قبيل الحرب العالمية كل من قاسم أمين، ولطفي السيد، أن يجد في طه حسين أقوى معبر عنه(٢٩) كذلك لعبت الجامعة لمصرية دورا بارزا في إرساء الفكر القومي المصري مثلما كانت دليلا على تطور تلك الحركة وكان الفضل في تأسيسها سنة ١٩٠٨ لبعض المؤمنين بالقومية المصرية، مثل مصطفي كامل، ومحمد فريد، ولطفي السيد، وقد أسدت الجامعة المصرية من الخدمات للقومية المصرية بمقدار ما أسدته الجامعة الأمريكية في بيروت من خدمات للقومية العربية وبمقدار ما أسداه الأزهر للفكرة الإسلامية(٣٠)

ويرى د. أنيس صايغ أن الاتصال المباشر بين الفكرين الأوروبي والمصري من خلال عشرات المفكرين المصريين الذين نهلوا من ينابيع المعرفة الأوروبية، وتأثروا بها خلال القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين قد انتهى في مصر بقومية مصرية بينما انتهى في لبنان بقومية عربية وليست لبنانية. ويفسر ذلك بأن أوروبا الغربية وخاصة فرنسا وهي الجزء الذي ظهرت فيه الفكرة القومية في القرن التاسع عشر بشكلها المعروف، وقد اتخذت هذه القوميات الأوروبية مفاهيم إقليمية تقتصر على تحديد الأمة بالإقليم ومناخه وحدوده الجغرافية أكثر من الاهتمام باللغة والعاطفة والدين، وقد أخذت مصر هذا المفهوم الإقليمي عن أوروبا وتأثرت به، وتبنته كما هو وطبقته على نفسها فاعتنقت القومية المصرية دون أن تتساءل عن مدى صواب تلك القومية وتلاؤمها مع ظروفها، كما أن مصر كانت تخضع لظروف سياسية معينة أهمها وقوعها تحت سيطرة الاحتلال البريطاني. وفوق ذلك لم تكن مصر قد اختبرت نتائج هذا المفهوم القومي ومدى صلاحياته من الناحية العملية، فضلاً عن انعزالها جغرافياً عن القسم العربي من آسيا فحجب ذلك الانعزال عنها التفكير بغيرها من جاراتها الآسيويات.

وباختصار فإن ظهور الوطنية المحلية المصرية وخضوع الأفراد (الأمة المصرية) وولاءهم لها دون اعتبار للعقيدة أو الطائفة كل ذلك أصبح أساساً للفكر السياسي في مصر بدلاً من الولاء الإسلامي الواسع(٣١).

وقد لخص الدكتور طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" الأبعاد الرئيسية لهذا الاتجاه الذي كان يتطلع إلى ربط مصر بالحضارة المتوسطية. إذ يقول في مقدمته "إن العقل المصري منذ عصوره الأولى، عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط. فإذا لم يكن بد أن نلتمس أسرة للعقل المصري نقره فيها فهي أسرة الشعوب التي عاشت حول بحر الروم". ويعلق على حديث الخديوي إسماعيل حول نظرية البحر المتوسط فيقول.. "لا ينبغي أن يفهم المصري أن الكلمة التي قالها إسماعيل وجعل بها مصراً جزءاً من أوروبا، قد كانت فناً من فنون التمسح، أو لوناً من ألوان المفاخرة، وإنما مصر كانت دائماً جزءاً من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها".

كذلك يتابع الدكتور حسين مؤسس نفس الاتجاه محاولاً تأصيله تاريخياً، يقول في كتابه "مصر ورسالتها"(٣٢): إن تاريخ مصر هو تاريخ البحر الأبيض المتوسط على وجه التقريب. أن حياة مصر لا تستقيم إلا إذا كانت على صلة بالبحر الأبيض .. إن مصر تنازعت تاريخها ثلاث قوى أفريقيا وآسيا والبحر الأبيض فهي العنصر الأساسي في تاريخ هذا البلد. ومصر التي ولدت أفريقية لم تلبث أن صارت بحرية مثلها في ذلك كمثل اليونان والرومان".

وهكذا تتحدد أبعاد هذا النظرية التي وضعت الحملة الفرنسية بذورها الأولى في مصر وواصلت مسارها. وقد ظهرت آثارها لدى كثير من المفكرين والعلماء المصريين الذين تأثروا بالثقافة والفكر الأوروبي وتبلورت في النهاية على شكل تيار فكري، عبر عنه في أوائل القرن العشرين كل من أحمد فتحي زغلول وأحمد لطفي السيد. وفي العشرينات والثلاثينات أحمد أمين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وإبراهيم المازني وطه حسين ومنصور فهمي ومحمود عزمي.

ومن أبرز الصحف التي تبنت هذا الاتجاه وروجت له صحيفة الجريدة التي كانت تعد لسان حال تيار القومية المصرية. وقد ساعدت ظروف الحرب العالمية الأولى على تعزيزه بما لقي المصريون من عنت الاحتلال وقهره وسيطرته الكاملة على مقدرات البلاد سياسياً واقتصادياً، واستثماره لمواردها أثناء الحرب، وإعلان الحماية عليها.

وقد جاءت ثورة ١٩١٩ كي تمثل ذروة التعبير القومي في مصر ضد الاحتلال البريطاني. وقد تنبه الاحتلال إلى أهمية هذا التيار، وعمد إلى تقويته وإنعاشه لاستخدامه في محاربة التيار العربي. وتطبيقاً للقاعدة البريطانية المعروفة في إنعاش القوميات المحلية لضرب إمكانية التجمع العربي بعد أن تم لها بعد الحرب السيطرة على العالم العربي وتقسيمه[٣٣] وقد انتقلت دعوة القومية المصرية من "الجريدة" إلى "السفور" ثم "السياسة" اليومية والأسبوعية التي تأسست عام ١٩٢٢ وكانت تنطق بلسان الأحرار الدستوريين.. وقد دأب كتابها على بث فكرة القومية المصرية في مختلف نواحي الحياة المصرية، وقد تزعمهم الدكتور محمد حسين هيكل، وعبد الله عثمان، ومجلة المصور الأسبوعية والشهرية (١٩٢٧). وكان يرأس تحريرها إسماعيل مظهر ومجلة الأسبوع التي أصدرها ادوارد عبده سعد سنة ١٩٣٣. والثقافة التي صدرت بإشراف أحمد أمين في أوائل الحرب العالمية الثانية، والكاتب المصري بإشراف طه حسين التي أعادت الحياة لتيار القومية المصرية. وقد أسهمت هذه الصحف في نشر الفكر القومي المصري، وحمله إلى الجماهير.

أما الشق الثاني لتيار القومية المصرية فهو ينحصر في الاتجاه الفرعوني ويعتبر التراث الفرعوني، والصلات النيلية هي المنهل الثالث الذي استقت منه حضارتها وتفكيرها القومي خلال القرنين الأخيرين. ويعتبر اكتشاف سر حجر رشيد بنجاح العالم الفرنسي شامبليون في تفسير كتاباته ١٨٢٢ بعد ذلك بداية مولد علم الآثار المصرية المعروف بالإجيبتولوجي وتعتبر القومية المصرية وما انتهت إليه من انعزال مصر في عالمها الأفريقي مدينة لعلم الآثار بمقدار ما هي مدينة للعوامل الأخرى. فقد حصلت

التنقيبات الأثرية في وقت بحثت مصر خلاله عن قوميتها، عن ماضيها وعن علاقاتها بذلك الماضي، وقد كان لهذه الاكتشافات صدى عظيم في العالم ولكن صداها الأعظم كان في مصر ذاتها التي اكتشفت أصولها وفلسفت تلك الاكتشافات حتى انبثقت منها نظريات في القومية المصرية. وإذا كان لفت نظر العالم الغربي إلى مصر وكشف أعين شعوبه على أثر مصر في الحضارات العالمية، وليد القرن التاسع عشر فإن تنظيم علم التاريخ المصري، واستنتاج النظريات الصحيحة في ذلك التاريخ وتعديل الآراء الأولية القديمة كان وليد القرن العشرين. وفي هذا القرن أيضاً تفتح علم التاريخ والآثار عند المصريين أنفسهم فتعاونوا مع المؤسسات التاريخية والأثرية الأجنبية العاملة في بلادهم كما تألفت في مصر عدة مؤسسات وطنية للعناية بالتاريخ القديم. وقد أدى الكشف العظيم ١٩٢٢ لمقبرة توت عنخ آمون إلى دعم الاكتشافات الأثرية التي كانت تغذي بدورها الاتجاه الفرعوني في القومية المصرية(٣٤). وقد برز كثير من الكتاب وعلماء الآثار الذين أسهموا بكتاباتهم في إحياء القومية المصرية في فترة ما بين الحربين، وكان تمجيد مصر القديمة والدفاع عن حضارتها والدعوة إلى بعث ذلك التاريخ من مظاهر القومية المصرية في تلك الفترة. ويعد الدكتور محمد حسين هيكل خير من عبر عن نظرة القوميين المصريين إلى تاريخ بلاده. كذلك برز هذا الاتجاه عند عباس العقاد وأحمد أمين والدكتور حسين مؤنس الذي كتب في تراث مصر القديمة يشير إلى أن: "الإسلام مسئول عن إهمال تاريخ مصر القديم إذ أن الفتح العربي قد حمل المصريين على أن ينسوا تاريخهم الفرعوني مثلما جعل الفرس والسوريين واللبنانيين والعراقيين ينسون تاريخ الأكاسرة والآراميين والفينيقيين وأبطالهم ليكونوا مواطنين في الدولة الإسلامية القومية الكبرى، وتعددت الأستار بينهم، وبين مواطنيهم بحجة أنهم كفار عبدة أوثان"(٣٥). ولاشك أن الإنجليز الذين عاصروا حكمهم لمصر نمو الأفكار القومية فيها والذين كانوا في ذات الوقت مؤثرين حقيقيين في توجيه هذه الأفكار كانوا يؤيدون الاتجاهات الإقليمية أكثر من الاتجاهات الجامعة إلا إذا كانت الأخيرة فضفاضة وخيالية .. لدرجة لا تشكل خطراً من تحقيقها وانطلاقاً من هذا فقد شجع الإنجليز القومية المصرية الفرعونية مع أنهم حاربوا القومية

المصرية عند الحزب الوطني لأنها كانت تجسد خطراً مباشراً عليهم، ولذلك ساندوا النزعة الفرعونية لأنها تقدم لهم ضماناً لعزلة مصر عن العالمين العربي والإسلامي. وكان معظم دعاتها والمتحمسين لها من الأقباط الذين تبنوها وكرسوا أنفسهم دعاة لها[٣٦]. وربما كان مشروع المعلم يعقوب القبطي لاستقلال مصر عن العثمانيين المسلمين برعاية الغرب، الحلقة الأولى من سلسلة السعي القبطي لبعث قومية مصرية فرعونية ووطن مصري مستقل عن الشرق ومرتبط بالغرب حضارياً، ولكن الجهد القبطي المنظم في سبيل القومية المصرية ترسخ خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، فقد مهد الأقباط لفكرتهم الفرعونية بعمل طائفي شبه منظم على صعيد فكري وتربوي وقاموا بنشاط واسع لتحسين أوضاعهم الثقافية والاجتماعية لا كمصريين ولكن كطائفة مستقلة فدخلوا ميدان الوظيفة منذ مجيء الإنجليز مصر وبرزوا في الأعمال الإدارية. كما أن الإنجليز وثقوا بهم أكثر من المسلمين. وقد نشط الأقباط إلى جانب ذلك في الصحافة فأسسوا لأنفسهم عدة صحف حصرت اهتماماتها في قضايا الطائفة والترويج للدعوة الفرعونية وتمجيد التاريخ المصري القديم. ومن أبرز هذه الصحف جريدة الوطن لميخائيل عبد السيد وجريدة مصر لتادرس شنودة والجنس اللطيف لملكة سعد والعائلة القبطية لجمعية الاتحاد السكندري والتوفيق لجمعية التوفيق بالقاهرة[٣٧].

وقد التقى بعض المفكرين المصريين الذين كانوا ينادون باستقلال مصر وإجلاء الإنجليز عنها مع الاستعمار البريطاني وبعض شرائح الأقلية القبطية في الاتفاق على النداء بفرعونية مصرن ومن ثم تأييد بعض مصالح أصحاب هذا الاتجاه مثل وجوب إحياء الآثار الفرعونية والتبرؤ من العرب والقول بأن لمصر كياناً أساسياً وحضارياً وثقافياً خاصاً، وأنها لا تمت إلى العروبة إلا بصلة واهية هي صلة الدين، والدين في سبيله إلى الانهزام في الحياة الاجتماعية المعاصرة، واللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها أمة واحدة. وراح بعضهم يدعو إلى اصطناع اللهجة المصرية الدارجة في التعليم والأدب والصحافة والتمثيل والصكوك والرسائل بحجة سهولة نشر الثقافة وإيجاد أدب مصري ولغة مصرية خاصة[٣٨]. ولكن في النهاية لم يكن للنزعة القومية

صدى سياسي بل انحصرت في تيار فكرى لم يمارس أي نفوذ على الكتل الأخرى، كما أن بعض دعاتها اتجهوا اتجاها مصريا معتدلا أو إسلامية صريحا أو عربيا على الأقل[٣٩].

هذا هو الشق التاريخي من اتجاه مصر الأفريقي، أما اتجاهها الأفريقي على الصعيد الجغرافي فقد سار مع الأبحاث التاريخية جنبا إلى جنب ومثلما أحيا اكتشاف آثار مصر وفك رموز حجر رشيد تاريخها القديم وأوضح امتدادها إلى مصر الحديثة، كذلك أحيت صلات مصر مع السودان ومناطق حوض النيل علاقاتها مع القارة الأفريقية وأكدت ارتباطها بها. وقد ساعدت النهضة الجغرافية التي كانت وليدة الحملة الفرنسية وامتدت خلال عصر محمد علي الذي سعى لتحقيق رغبة مصر في أن تحتفظ بالنيل وأن تتوحد مع السودان وأرسل عدة حملات (١٨٢٠ – ١٨٢٢) انتهت بإعلان السودان جزءاً من مصر واقتفى اسماعيل خطوات جدة في الاهتمام بالسودان سياسياً وفي رعاية البعثات العلمية التي نشطت في عهده ، وبلغت أقصى حد وصلته في تاريخها وقد تجاوب المصريون مع هذا النشاط الجغرافي، واشترك عدد من جغرافيهم ومهندسيهم ورحالتهم في البعثات المصرية إلى منابع النيل كما ازداد اهتمام رجال الفكر المصريين بالسودان[٤٠] وكان السودان وهو البلد العربي الإفريقي عاملاً في إحياء القومية المصرية سواء عند ضمه أو عند انسلاخه عن مصر وقد قاوم الشعب المصري فكرة نزع الحكم المصري عن السودان تلك الفكرة التي نفذها الإنجليز بالتدريج لتقليم أظافر مصر عسكرياً وسياسياً من جهة ولوضع السودان تحت الحكم البريطاني من جهة أخرى، وأصبح السودان هدفاً رئيسياً من أهداف الحركة الوطنية المصرية، وسبباً أساسياً في إذكاء شعلتها خاصة بعد أن أفلحت بريطانيا في فصل السودان عن مصر في سلسلة من الأحداث ما بين ١٨٨٢- ١٩١٤ غير أن ذلك الفصل كان حافزاً للمصريين كي لا يتركوا السودان، وكان الاهتمام به والمطالبة باسترجاعه عاملاً بارزاً من عوامل القومية المصرية ومظهراً هاماً من مظاهرها وكان مطلب وحدة مصر مع السودان أحد المطلبين الرئيسيين الذين شغلت مصر بهما طيلة فترة ما بين الحربين ولم يشذ أي حزب سياسي عن إجماع باقي الأحزاب على

المطالبة بتلك الوحدة وجعلها من صلب المبادئ الأساسية ولم تمر مناسبة ولـم يعقـد مؤتمر ولم تجر مباحثات إلا وكانت مصرية السودان جزءاً رئيسياً منها، وظهر أثـر ذلك في النتاج الفكري والأدبي.

الانتماء العربى لمصر:

الواقع أن انتماء مصر العربي ليس موضع شك فهي قد أخذت اللغة العربية فـي أعقاب الفتح العربي وتحولت بالتدريج إلى الإسلام كما وفدت إليها على مر العـصور كثير من القبائل العربية التي امتزجت بمضي الوقت بسكانها وتبنت خلالها كثيراً مـن لعادات والتقاليد وأساليب الحياة العربية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحياة العامة للمجتمع المصري بالإضافة إلى الدور الهام الذي لعبته في نشر وإثراء وتطوير الثقافة العربية وخاصة بعد قيام جامعة الأزهر في القرن العاشر الميلادي وسقوط بغداد فـي أواسط القرن الثالث عشر(٤١) ولا زالت مصر منذ القرن التاسع عشر وبعد قيام الدولة الحديثة تمثل الركيزة الأساسية لحركة البعث الفكري والثقافي في العالم العربي ولكـن التيار العربي في مصر لم يصبح انتماء سياسياً وفكرياً على النطاق الشعبي، والرسمي إلا في نهاية الحرب العالمية الثانية (بداية الأربعينات من هذا القرن)(٤٢) ويرجع ذلـك التأخر إلى عوامل عديدة بعضها ذاتي والآخر موضوعي وفيما يتعلق بالعوامل الذاتية فهي تتضمن:-

أولاً: النمو التاريخي المتميز الذي انفرد به المجتمع المصري فالاستقلال الذي حصلت عليه مصر طبقاً لمعاهدة لندن ١٨٤٠ قد أعطاها شخصية متميـزة عـن سـائر البلدان العربية الأخرى الخاضعة لحكم العثماني المباشر، كما أن نمـو القوميـة المصرية بشعاراتها ورموزها التاريخية وخاصة الاتجاه الفرعوني... كل ذلـك أدى إلى أعاقة التيار العربي في مصر.

ثانياً: غلبة التيار الإسلامي على التيارات الفكرية الأخـرى التـي سـادت المجتمـع المصري منذ نهاية القرن الثامن عشر.

أما العوامل الموضوعية فهي تتمثل في:

أولاً : الدور الذي قام به الاستعمار الأوروبي في عزل مصر عن العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

ثانياً : مسئولية العرب في عدم إشراك مصر في قضاياهم القومية.

ثالثاً : الدور السلبي لبعض السوريين في مصر.

وسنتناول بالتفصيل كل عامل من هذه العوامل عل حدة

أولاً العوامل الذاتية :

أ- النمو التاريخي:

العامل الأول الذي يتمثل في التطور التاريخي المتميز للمجتمع المصري منذ مجئ الحملة الفرنسية التي تمثل أول احتكاك عربي بالحضارة الغربية في العصر الحديث وما أعقبها من قيام الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي.

وقد ساعد هذان الحدثان على سرعة انهيار النظام الإقطاعي في مصر وبدء ظهور القومية المصرية بمعناها الحديث ونشوء الطبقة الوسطى التي قادت النضال الوطني طوال تلك المرحلة الماضية، فالحملة الفرنسية وجهت الضربة الأولى إلى الإقطاع في شكله الاقتصادي (نظام الالتزام وتعدد الضرائب) وفي شكله السياسي والعسكري ممثلاً في جماعة البكوات والمماليك، ثم جاء محمد علي فألغي نظام الالتزام كما تخلص نهائياً من المماليك سنة ١٨١١ وبذلك قضى نهائياً على بقايا الإقطاع في مصر[٤٣]. وأخذ يبني مصر على أساس المركزية المطلقة وهي أبرز سمات الدولة الرأسمالية. ومن الناحية الاقتصادية بدأ يوجه الاقتصاد المصري للإنتاج الخارجي أي للتصدير بدلاً من الإنتاج الإقطاعي القائم على الاستهلاك. وقد كان من الطبيعي أن تؤدي هذه التغيرات الاقتصادية والسياسية (التي تشير إلى تحويل المجتمع الإقطاعي إلى مجتمع تسوده العلاقات الرأسمالية) إلى تغيرات اجتماعية وفكرية أيضاً، فقد اختفت طبقة المماليك اختفاء تاماً من الحياة المصرية وحل محلها، كطبقة

obeikandl.com

اجتماعية، فئة ارستقراطية تركية هي طبقة كبار الموظفين في دولة محمد علي وهي التي احتكرت كافة المناصب العسكرية الكبرى ومعظم المناصب المدنية والتي منحت إقطاعات كبيرة هي (الابعاديات). وبجانب هذه الطبقة تكونت الطبقة الوسطى من المصريين الذين استعان بهم محمد علي في بناء دولته سواء في المناصب الصغيرة في الجيش أو الدولة واقطعهم أراضي زراعية. وانتهى الأمر بهؤلاء المصريين في أواخر القرن التاسع عشر إلى أن أصبحوا يمثلون البرجوازية المصرية وهي التي قادت الكفاح الوطني ضد الأتراك والتدخل الأوروبي أبان الثورة العرابية[٤٤]، كما حملت لواء الحركة الوطنية ضد الاستعمار الأوروبي منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين.

وقد واصل محمد على محاولاته لتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصري وتغيير مسار مصر السياسي بالعمل على إخراج مصر من نطاق الولاية التابعة للسلطنة العثمانية إلى شبه دولة ذات استقلال ذاتي وذات قوة عسكرية وسياسية واقتصادية يشعر بها العالم وتحسب لها أوروبا والسلطنة حساباً.

ومن أجل ذلك خاض محمد على حروبه في بلاد الشام (١٨٣٢ – ١٨٤٠) والتي ينظر إليها بعض المؤرخين على أنها محاولة لبناء دولة عربية كبرى، والواقع أن دوافع محمد علي في حملته على الشام لم تكن قومية عربية رغم تصريحات ابنه إبراهيم باشا، وتقارير القناصل الأجانب التي كانت تؤكد أن فكرة الوحدة العربية كانت مختمرة في ذهن محمد على وابنه إبراهيم.

ذلك أن حملات محمد على في بلاد العرب وقلب إفريقيا وفي أوروبا كانت تهدف بالقطع إلى بناء دولة كبرى ولكنها ليست دولة عربية، وحروب محمد على بالإضافة إلى بناء جيش قوي وأسطول ضخم، وإرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا، كل هذه النشاطات كانت تحركها تطلعات محمد علي لبناء دولة تجسد طموحه الشخصي، وكان يرفع شعارات كاذبة عن تطلعاته لبناء دولة عربية كبرى تسهيلاً لتحقيق أهدافه في الفتح، وهناك عدة أدلة على ذلك أبرزها أنه بعد هزيمته في الشام وإغراق أسطوله

تراجعت أطماعه إلى مجرد فرمان من السلطان العثماني يضمن بقاء حكم مصر وراثياً في أسرة محمد علي، وكان له في نهاية المطاف ما أراد... فضلاً عن اعتماده في حكمه لمصر على الأجانب من الأتراك والمماليك والأرمن واليهود والشوام والأقباط وغيرهم من الأوروبيين وخاصة بعد أن قضى على الزعامات الشعبية في مصر.

وأنشأ محمد على كما سبق أن عرضنا طبقة أرستقراطية جعلها صفوة المجتمع وهي طبقة تركية تولت قيادة البلاد إدارياً واجتماعياً، وتميزت هذه الطبقة بانفصالها الكامل عن المجتمع المصري بل وتعاليها على سكان مصر الأصليين الذين كانوا يعتبرونهم مجتمعاً من الفلاحين[٤٥]

وقد وفرت معاهدة لندن ١٨٤٠ الاطمئنان للرأسمال الأوروبي، كما أن الأجانب عامة وجدوا في طبيعة حكم محمد على نفسه القائم على العناصر الأجنبية وفي تشجيعه وحمايته لهم ما يغريهم بالقدوم إلى مصر وتضاعف عددهم أكثر من أربع مرات ما بين عام ١٨٤٦ – ١٩١٧ وقد تمكن الأجانب بفضل هذه الامتيازات التي قدمتها لهم أسرة محمد على من السيطرة على الحياة الاقتصادية فضلاً عما كانوا يتمتعون به من نفوذ اجتماعي وثقافي، مما ترتب عليه تعاظم الدور الذي أصبح يلعبه الغرب في الحياة العامة المصرية، ومن الملحوظ أن معاهدة لندن ١٨٤٠ قد ساعدت على عزلة مصر سياسياً عن العالم العربي في الوقت الذي كرس فيه محمد على نظاماً استبدادياً يستبعد العنصر الوطني ويعادي الثقافة العربية ويستند إلى أرستقراطية تركية وخبراء أوروبيين وثقافة وتعليم أجنبي[٤٦] مما يؤكد أن العروبة أو الفكرة العربية لم تكن واردة بالنسبة لمحمد على أثناء فتوحاته وحروبه في بلاد العرب.... وإن كان هذا لم يمنع وجود مثل هذا التفكير لدى ابنه إبراهيم الذي كانت تسانده القوى الجديدة التي تربت في المدارس الحديثة، والبعثات والجيش الوطني، وجهاز الدولة الجديد، وهم كانوا يرون أن الفتوحات المصرية يجب أن تقف عند آخر نقطة يتحدثون فيها بالعربية[٤٧]

بداية الحركة الوطنية المصرية :

لقد كان السبب المباشر في قيام الحركة الوطنية المصرية هو تغلغل النفوذ الأوروبي المالي والسياسي في أواخر عصر إسماعيل وكانت هذه الحركة تستند على الطبقة البرجوازية المصرية بجناحيها العسكري والمدني، وقد عبرت عن نفسها بحدثين بارزين في تاريخ مصر الحديث أولهما تأليف الحزب الوطني القديم ١٨٧٩، ومع أن برنامج الحزب قد تضمن الاعتراف بالولاء للسلطان العثماني وخديوي مصر ودعا إلى المحافظة على حسن العلاقات مع دولة الخلافة إلا أنه جسد المطالب المصرية القومية في ذلك الحين وقد تجلى ذلك بوضوح في برنامجه الذي ينص على "أن الحزب الوطني حزب سياسي لا دين له فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها لأنه لاينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم أن الجميع إخوان وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية"(٤٨)

أما الحدث الثاني فهو يتمثل في أول حركة رفض قام بها الضباط المصريون بزعامة أحمد عرابي وسيطرة العناصر الإسلامية الأخرى من الأتراك والشراكسة وغيرهم على الجيش المصري واستئثارهم بالمناصب القيادية والمرتبات الضخمة وحدث أول تآزر بين الشعب والعسكريين في مظاهرة ٨ فبراير ١٨٧٩ التي أقيلت على أثرها وزارة نوبار.

ثم تفجرت الثورة العرابية التي تجسدها مظاهرة الجيش في سبتمبر ١٨٨١، وقد كانت قوى الثورة تضم خليطاً من الاتجاهات الفكرية فهناك العناصر التي كانت تنتمي للأزهر وقد كانت تتطلع إلى إنشاء خلافة عربية أي دولة ذات طابع ديني. كما كانت هناك عناصر أخرى داخل الثورة كانت تطالب بجمهورية أو دولة عربية في إطار الانفصال النهائي عن الخلافة سواء العثمانية أم غير العثمانية(٤٩).

على أن أهم شعار رفعته الثورة في هذه المرحلة بمختلف أجنحتها الفكرية والطبقية هو شعار مصر للمصريين ورغم أنه لا يبلور فلسفة قومية متميزة ولكن

رفعه كأحد شعارات الجيش في بدء حركته ضد السيطرة التركية والشركسية كان أحد الأسباب التي أدت إلى اتساع هذه الحركات والتفاف عديد من القوى الاجتماعية حولها.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقف الثورة العرابية من الفكرة العربية، فهناك من يرى أن ثورة عرابي كما أسلفنا كانت تضم اتجاهات إسلامية عربية استناداً إلى المعلومات التي بعث بها المستشرق الأوروبي دوفيريه إلى مستر برودلي المحامي البريطاني الذي تولى الدفاع عن عرابي وتتضمن اتهام عرابي بأنه كان على صلة وثيقة بالحركة السنوسية في ليبيا وهي الحركة المعادية للخلافة العثمانية والأوروبيين والتي كانت تتميز بالطابع العربي الذي يختلط بأساس إسلامي لا يتعارض مع العروبة.

والمرجح أن الثورة العرابية لم تكن تخلو من الاتجاهات العربية التي ظهرت جنباً إلى جنب مختلطة بالاتجاهات الإسلامية، وهو أمر واضح في مجتمع كانت تسوده الأفكار السلفية، على أن الثورة العرابية نجحت في اجتذاب تأييد الرأي العام الشعبي في العالم العربي في تونس وفلسطين وسوريا والسودان حيث انفجرت في هذه الأقطار المظاهرات الصاخبة ضد احتلال القوات البريطانية لمصر وتضامناً مع عرابي ورفاقه الذين هزمت ثورتهم وقد بلغ الأمر أن المهدي عرض على الإنجليز استبدال جوردون قائد الحملة البريطانية الأسير لديه بأحمد عرابي الذي نفى إلى سرنديب(٥٠).

بعد فشل الثورة العرابية واحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢، أصيبت الحركة الوطنية بنكسة مؤقتة استمرت حتى ظهور مصطفى كامل حيث انتقلت قيادة الحركة الوطنية إلى الحزب الوطني بزعامته، تتميز هذه المرحلة بوقوع تناقض بين القومية المصرية والقومية العربية ساعدت على إبرازه الظروف الدولية وتفجر التناقضات داخل المعسكر الاستعماري. إذ شهدت هذه المرحلة ظهور التناقضات الكامنة بين الاستعمار التركي الذي كان على وشك الاحتضار والاستعمار الأوروبي الذي كان يتهيأ كي يرث مناطق النفوذ العثمانية في المنطقة العربية، كذلك شهدت هذه المرحلة

اكتمال مقومات كل من القومية العربية التي كانت تتهيأ لمقاومة الاضطهاد التركي والقومية المصرية التي تعد الثورة العرابية أبرز تجسيد لها داخل معسكر التحرر الوطني[٥١]. وكان التناقض الرئيسي بين معسكر الاستعمار (التركي والأوروبي) من ناحية ومعسكر التحرر الوطني (العربي المصري) من ناحية أخرى. ولكن الظروف الموضوعية التي أحاطت بالقضية المصرية محلياً ودولياً في ذلك الحين فرضت على الحركة الوطنية المصرية رؤية ضبابية إذ أنها لم تدرك جيداً طبيعة معركتها ضد الاستعمار الأوروبي ووحدة المعسكر الاستعماري رغم ما يحويه من تناقضات ثانوية، ولم تدرك أيضاً أن حلفاءها الطبيعيين في معركتها ضد المعسكر الاستعماري هم الشعوب العربية، فلجأت إلى الدولة العثمانية لإكراه انجلترا على الجلاء مستندة على ما لتركيا من حقوق دولية في مصر تكفلها معاهدة لندن ١٨٤٠ والفرمانات المؤكدة لها. وفي هذا الوقت كانت الشعوب العربية تغلي تحت الحكم العثماني وكانت حركة الثورة العربية في مرحلة التبلور لمواجهة مساوئ الحكم العثماني، فالصراع القومي كان يدور أساساً ضد دولة الخلافة بينما كان في مصر موجهاً ضد بريطانيا ففي الوقت الذي كان أحرار العرب يتآمرون فيه ضد السلطان عبد الحميد تساندهم وتشجعهم انجلترا كان مصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية في مصر يتغني بمزايا السلطان ويصفه بأنه "أعظم سلطان جلس على أريكة آل عثمان" وقد ندد مصطفى كامل بالأفراد القليلين الذين قاموا من المسلمين ضد "جلالة السلطان الأعظم" كما هاجم فكرة الخلافة العربية باعتبارها فكرة انجليزية واعتبر الثوار العرب ضد السلطان "من الخوارج والخونة"[٥٢].

أما حزب الأمة فقد لخص موقفه من المسألة العربية على لسان رئيسه لطفي السيد الذي كتب في الجريدة تحت عنوان المسألة المصرية يقول "العرب أكثرية في بلاد الدولة العثمانية لذلك لا نستطيع أن نفهم وجود مسألة عربية تستأهل النظر في حلها، وليس هناك مسألة عربية، ولكن هناك قلقاً في نفوس كثير من العرب، لذلك نقول إذا كان هناك للمسألة العربية محل من الوجود فحلها بيد العثمانيين من غير مضارة أحد"[٥٣].

ومن هنا يتضح لنا أن موقف حزب الأمة من المسألة العربية لم يختلف عن موقف الحزب الوطني إلا بمقدار ما يختلف الحزبان أيديولوجياً، لذلك نلاحظ أن لطفي السيد يسوي بين الجامعة الإسلامية، والاتحاد العربي ويرفضهما معاً إذ يقول: "لدينا وسائل العمل لمصلحتنا فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية، ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بان مصر لا يمكنها أن تتقدم إذا كانت تجبن عن الأخذ بمنعتها، وتتواكل في ذلك على أوهام يسميها البعض (الاتحاد العربي)، ويسميها الآخرون "الجامعة الإسلامية"(٥٤). وقد ساعد هذا المناخ على نشوء القومية المصرية بإطاراتها الفكرية المعروفة وهي الإطار الفرعوني، وإطار الحضارة المتوسطية، وتتفق جميعها في حصر مصر داخل حدودها الطبيعية، وقد كانت هذه الدعوات تمثل التعبير الفكري والسياسي للنمو الذاتي الخاص الذي أخذت تسير فيه مصر مستجيبة لما فرض عليها من عوامل الحصار، وظروفه.

ب- غلبة التيار الإسلامي:

إذا كان ظهور البرجوازية المصرية في منتصف القرن التاسع عشر قد ارتبط في داخل مصر بنشوء القومية المصرية فإنه في ذات الوقت ارتبط بدعوة الجامعة الإسلامية التي تمثل أول تعبير عن البرجوازية العربية في تكاتفها مع البرجوازية التركية والإقطاع التركي ضد الاستعمار الأوروبي(٥٥). قد ترتب على ذلك تراجع الاعتبارات القومية الأخرى أمام القومية الإسلامية، وحتى بعد استكمال القومية العربية لمقوماتها ظلت الفكرة الإسلامية تخلط في بادئ الأمر بالفكرة القومية العربية وتكوين ما يمكن تسميته بالفكرة العربية الإسلامية.

هذا بجانب عامل ثالث وهو أنه رغم انتشار الإسلام على أيدي العرب في مصر فإن السيادة العربية لم تستمر بل انتقلت إلى عناصر إسلامية أخرى مثل المماليك والعثمانيين وكان الإحساس القومي علاوة على ذلك المعنى الذي اتخذته كلمة عرب بين الناس لاسيما في مصر والذي كان من أهم العوامل التي أدت إلى ابتعادهم عن الفكرة العربية لأن الناس صاروا يستخدمون هذه الكلمة للدلالة على البدوي غير المتحضر، فأخذوا يعتبرونها مقترنة بالتأخر والهمجية مما استوجب تنصل المتحضرين من العروبة وابتعادهم عنها.

ثانياً – العوامل الموضوعية :

أ- الاستعمار:

لقد رسخ الإنجليز أقدامهم في مصر منذ اليوم الأول لقدومهم سنة ١٨٨٢ وألغوا الجيش الوطني وأسسوا جيشاً جديداً هزيلاً بقيادة إنجليزية وألغوا القوانين والأنظمة القديمة ووضعوا رقابة شديدة على المالية، وألغوا الدستور القديم، وحرموا مجلس شورى القوانين، والجمعية العمومية من صلاحياتهما، وانتزعوا من مصر حقوقها في السودان، وسحبوا جيشها منه، وعمموا اللغة الإنجليزية على حساب العربية، وأهملوا برامج التعليم الوطني، واغتنمت بريطانيا الفرصة حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى (أغسطس ١٩١٤) وفرضت الحماية على مصر، وخول القرار للقوات البريطانية حق استعمال مصر كقاعدة أثناء الحرب، وأعلنت الأحكام العرفية، ووضعت الصحف تحت الرقابة، ولا شك أن كل هذه العملية بتعقيداتها السياسية والاجتماعية قد شغلت مصر عن التفكير في أية قضية أخرى خارج نطاقها الوطني، هذا بالإضافة إلى ما عمدت إليه بريطانيا من جعل قضية مصر تختلف موضوعياً عن قضية المشرق العربي فبينما كانت الحركة الوطنية في مصر (الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل) تكافح ضد السيطرة الأوروبية وتتطلع إلى تأييد ومساندة الدولة العثمانية كانت بقية الشعوب العربية في المشرق العربي تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية، وتتطلع إلى تأييد الدول الأوروبية فأعداء مصر كانوا حلفاء الحركة القومية في المشرق العربي، وأعداء الأخيرة كانوا حلفاء مصر[٥٦]. ونتيجة لذلك لجأت الحركة الثورية العربية المعادية للدولة العثمانية إلى الدول الاستعمارية الأوروبية (إنجلترا وفرنسا) التي احتضنتها وشجعتها، فمن المعروف أن بعض الجمعيات العربية في بلاد الشام كانت على صلة بالقنصل الفرنسي بيكو في بيروت كما أن جمعية اللامركزية كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني في مصر. وقد اتخذ حزب اللامركزية الذي تكون سنة ١٩١٢ مقره في القاهرة بتشجيع من السلطات البريطانية التي رحبت بهذا النشاط الموجه ضد الدولة العثمانية ولكنها اشترطت في ذات الوقت ابتعاده عن القضية

المصرية، وأن ينحصر في بحث قضايا العرب في الولايات العثمانية(٥٧). كذلك ساندت بريطانيا الشريف حسين للقيام بثورته ضد العثمانيين في منتصف عام ١٩١٦. وقد تم ذلك بعد مراسلات طويلة بين الشريف حسين وسير هنري مكماهون المعتمد البريطاني في مصر امتدت من يوليو ١٩١٥ – يناير ١٩١٦، وفي ذات الوقت كانت بريطانيا تجري مفاوضات سرية مع فرنسا لتقسيم المنطقة العربية بعد انهيار الدولة العثمانية وقد أسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية سايكس بيكو في مايو ١٩١٦، ولم تكتف بريطانيا بذلك بل عمدت من أجل كسب الصهيونية العالمية إلى جانبها إرضاء اليهود على حساب العرب. فأصدرت تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ تعهدت فيه لزعماء الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط دولة الخلافة التي كانت محور الدعوة للجامعة الإسلامية سقطت معها إستراتيجية التعلق بالدولة العثمانية في مصر، وفي الوقت نفسه سقط تحالف العرب مع بريطانيا بعد أن كشفت حقيقة نواياها وطعنت الحركة العربية بالتقسيم ووعد بلفور: فقد مزق الاستعمار الأوروبي وحدة بلاد الشام التي كانت في العهد العثماني وحدة سياسية وجغرافية وأقام بينها حواجز سميكة. وقسم المشرق العربي لأول مرة إلى وحدات سياسية صغيرة، فلسطين، ولبنان، وسوريا، وشرق الأردن، والعراق(٥٨) ولاشك أن هذا التقسيم قد ساعد على خلق مصالح محلية أصبح مصيرها مرتبطًا ببقاء هذه الوحدات المنفصلة كما ساعد على تنمية النزعات الإقليمية، وهذا هو ما كان يهدف إليه الاستعمار من أجل إلهاء الحركات الوطنية داخل هذه الوحدات السياسية بقضاياها المحلية والكفاح من أجل تحررها الذاتي.

ب- مسئولية العرب في إسقاط مصر من حسابهم:

عند تقييم الظروف التاريخية التي أدت إلى ابتعاد مصر عن الميدان العرابي طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نلاحظ أن العرب خارج مصر يتحملون جزءًا من المسئولية مماثلاً لمسئولية المصريين ومسئولية الاستعمار الأوروبي ذاته، ويرجع هذا إلى انشغالهم بقضاياهم الوطنية، وبسبب عدم إدراكهم

لحقائق عصرهم فهم لم يفهموا حقيقة الاستعمار، ووجوب مجابهته كوحدة. ويلاحظ في تاريخ النضال العربي ضد الإمبراطورية العثمانية والذي كان في البداية على شكل جمعيات سرية تكونت منذ ١٨٧٥ تجاهل العرب لمصر، ويمكن تفسير ذلك بالدور الذي لعبه الإنجليز في دعم الحركات الثورية ضد السلطان عبد الحميد، وإيواء الثوار العرب الهاربين من الإمبراطورية العثمانية فى مصر[٥٩]. فمن المعروف كما أسلفنا أن جمعية اللامركزية في مصر كانت على صلة بكتشنر المعتمد البريطاني.. وقد تدخل بناء على رغبة الجمعية عن طريق السفير البريطاني في الآستانة للعفو عن عزيز المصري الذي كان من أبرز المناضلين العرب، وكانت الدولة العثمانية قد ألقت القبض عليه. وقد استمر ابتعاد مصر عن الحركات العربية حتى ما بعد إسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩. ولم يشارك المصريون في مؤتمر باريس ١٩١٣ وهو أول مؤتمر قومي عربي. كذلك استبعدت قضايا مصر عن أبحاث المؤتمر ولم تساهم مصر في مباحثات زعماء الثورة العربية مع المسئولين الإنجليز في القاهرة والتي انتهت بالاتفاق على العمل المشترك ضد الأتراك، وأعلن الشريف حسين الثورة العربية في يونيو ١٩١٦، ورغم اشتراك مئات الشخصيات السياسية، والعسكرية، والوطنية من العراق، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، ولكن بالنسبة لمصر لم ينضم منها أحد باستثناء عزيز المصري[٦٠]. ولم يكن لثورة الحسين أثر كبير عند المصريين بل وقفوا منها موقفا عدائيًا ورغم ذلك لم تتمكن الصحف المصرية آنذاك من مهاجمة الثورة لأنها كانت تخضع للرقابة العسكرية[٦١].

جـ- الدور السلبي للسوريين في مصر:

من القطاعات الاجتماعية التي نشطت نشاطا بارزًا في أواخر عصر محمد على وما بعد محمد على كانت العناصر الأجنبية وعلى رأسهم الشوام، وقد كانوا يقومون بدور الوسيط بين الحضارة الأوروبية من جهة والحياة المصرية من جهة أخرى في مجالات الخدمة الحكومية، والتجارة والصحافة. وكانت هجرات الشوام تفد إلى مصر نتيجة للازمات الاقتصادية، ولاسيما أزمة صناعة الحرير في لبنان، ونتيجة

للأضطهادات الدينية على يد الأتراك طوال القرن التاسع عشر[٦٢]. وكان السوريون يشكلون الأغلبية الساحقة من العرب الذين استوطنوا مصر، وكانوا ينقسمون إلى فريقين.. الأول يضم أحرار العرب الذين هربوا إلى مصر لمواصلة نضالهم ضد الحكم العثماني، وخاصة في عهد السلطان عبد الحميد، وهؤلاء يمثلون أقليه. وقد تركز نشاطهم وهم في مصر في متابعة نضالهم الوطني، ولم يحدث لقاء أو تعاون بينهم وبين الحركة الوطنية المصرية نظرًا للتناقض الذي كان قائمًا في ذلك الحين بين الحركة الوطنية المصرية والحركة الثورية العربية. أما الفريق الثاني، وهو يضم أغلبية السوريين في مصر فقد كان يتكون من الذين لجئوا إلى مصر للارتزاق، ولم يهتموا بالعمل في سبيل عقيدة سياسية بقدر ما اهتموا بالسعي وراء الرزق وهناك فريق ثالث يمثل الوطنيين السوريين الذي اندمجوا اندماجًا كاملاً في المجتمع المصري وشاركوا في الحركة الوطنية المصرية، وأسهموا إسهامات فكرية بارزة، ويتصدرهم أديب إسحاق، وسليم النقاش، ونجيب حداد، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وجورجي زيدان.

أما الدور المعادي الذي قام به بعض السوريين ضد الحركة الوطنية المصرية فهو يبدأ منذ الحملة الفرنسية. إذ إنهم تعاونوا مع الفرنسيين، وتهافتوا على العمل معهم كما احتفلوا بانتصارات الجيش الفرنسي وعملوا لحساب السلطات الفرنسية ضد العناصر الوطنية. وفي عهد محمد على تولى السوريون شئون الإدارة والمكاتب، والمحاسبة، والترجمة نظرًا لما كانوا يتمتعون به من اتقان اللغات الأجنبية. وفي عهد إسماعيل الذي تطلع إلى إعادة تنظيم المجتمع المصري طبقًا للنمط الأوروبي استعان بالسوريين على نطاق واسع. وذلك بسبب العجز في عدد المصريين الذي يتقنون اللغات الأجنبية، وعندما أحتل الإنجليز مصر احتضنوا السوريين، ومنحوهم فرصا واسعة للعمل في الإدارة والترجمة ووصفهم اللورد كرومر في مذكراته بأنهم منحة من السماء[٦٣]. ولم يقتصر دورهم في خدمة الاحتلال البريطانيين على تقلد الوظائف الإدارية بل مارسوا الربا، وأصدر بعضهم عدة صحف كانت تروج لسياسة الاحتلال، وتنطق بلسانه باللغة العربية وأبرزها المقطم، والمقتطف اللتان أصدرهما فارس نمر

openkanal.com

ويعقوب صروف واسكندر مكاريوس وقد تبنوا آراء الاحتلال ودافعوا عنها وهاجموا الحركة الوطنية المصرية. وقد أعرب الشعب المصري عن استنكاره ونقمته على الدور العدائي الذي كان يقوم به السوريون ضد الحركة الوطنية المصرية، وتمثل ذلك في افتتاحيات الصحف الوطنية مثل صحيفة الأستاذ لعبد الله النديم، والمؤيد للشيخ على يوسف، بالإضافة إلى المظاهرات التي كان يقوم بها الوطنيون ضد الصحف السورية الموالية للاحتلال. وقد عبر عبد الله النديم عن ذلك الموقف في مقال شهير جاء فيه: "أنا أخوك فلم أنكرتني؟ ما الشام ومصر إلا توءمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تنافر أبناؤهما وأنحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وأن ساكنوهم في مصر.. أبراتب عشرين جنيهًا يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الأجنبي لنعينة على إخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجتني على غير جان"(٦٤).

التيار العربي وسط التيارات الفكرية السائدة في مصر في فترة ما بين الحربين:

بانتهاء الحرب العالمية الولي سقطت معظم التناقضات التي كانت تحاصر التيار العرب وتعوق انتشاره في مصر. إذ إن سقوط دولة الخلافة التي كانت محور دعوة الجامعة الإسلامية قد أدي إلى تقلص التيار الإسلامي الذي كان مسيطراً في المرحلة السابقة على اتجاهات الحركة الوطنية المصرية. وانتهت إستراتيجية التعلق بدولة الخلافة كما انكشفت حقيقة بريطانيا بالنسبة للعرب، وسقط التحالف العربي البريطاني بعد أن غدرت بريطانيا بالثورة العربية بالتقسيم، ووعد بلفور، ثم خضعت معظم الدول العربية للنفوذ الأوروبي ونشبت ثورة مصر القومية (١٩١٩) التي كانت فاتحة للثورات الوطنية في العالم العربي إذ تبعتها ثورات العراق، وفلسطين، وسوريا، وتونس للمطالبة بالاستقلال، وقد ساعدت هذه الثورات على خلق مزيد من التقارب بين البلاد العربية حيث بدأت تتخطي الحواجز التي كان الاستعمار الأوروبي يعمل على تدعيمها وتقويتها ثم برزت القضية الفلسطينية فكانت محور استقطاب رئيسي للجهود العربية، وخاصة مصر حيث تحدد انتماؤها النهائي للعروبة وقضاياها، وقد ظهر أول

رد فعل شعبي في مصر لقضايا العرب سنة ١٩٢٥ حينما نشبت ثورة سوريا ضد السلطات الفرنسية، فقد اهتمت الصحافة المصرية بإبراز أنباء الثورة، وتأييد حق السوريين في الاستقلال، كما قامت حركة تبرعات لمنكوبي الثورة قادها سعد زغلول نفسه[٦٥].

وقد انتهت ثورة ١٩١٩ بحدوث عدة تغييرات في البنيان السياسي والفكري للمجتمع المصري نستطيع أن نرصدها على الوجه التالي:

من الناحية السياسية:

١- استطاعت أن تلغي الحماية البريطانية بصدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢. ورغم أن هذا التصريح لم يؤد إلى الاستقلال الذي تطلع إليه المصريون بسبب التحفظات الأربعة. فإن إلغاء الحماية أتاح الفرصة للبورجوازية المصرية للتنفس السياسي وتمصير بعض وظائف الدولة، وبالتالي المشاركة في الحكم، والاشتغال بالسياسة، والعمل الحزبي[٦٦]. وقد أدى انتعاش البورجوازية المصرية بعد تأسيس بنك مصر إلى التطلع خارج حدودها بحثًا عن أسواق جديدة في الدول المجاورة لها، ولذلك نرى طلعت حرب رئيس بنك مصر يقوم بجولة سنة ١٩٢٨ في الدولة العربية لبحث إمكانية فتح فروع لبنك مصر، وقد عبرت عن هذا الاتجاه صحيفة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كان يجسد مصالح كبار الملاك في مصر[٦٧].

٢- نشوء أحزاب جديدة.. فقد تفتت وحدة البلاد السياسية بعد هبوط المد الثوري الذي أشاعته ثورة ١٩١٩، وأخذت تظهر تكتلات سياسية هي امتداد لما كان قبل ١٩١٤ مع اختلاف في التفاصيل مما كان يمليه تطور البلاد خلال الحرب العالمية الأولي. فقد استطاع حزب الوفد بقياد سعد زغلول أن يجمع الشعب تحت زعامته أثناء الثورة، وأصبحت الحركة الوطنية بقيادته حركة مستقلة بذاتها تحتل مكان الصدارة في الحياة السياسية المصرية، ولكن كان من الصعب عليه أن يستمر في زعامة كل الفئات التي تصدت للعمل السياسي. فكانت نشوء الأحزاب بعد الثورة أمرًا طبيعيًا

obeikandl.com

وقد تأسس حزب الأحرار الدستوريين في أكتوبر ١٩٢٢ على أساس قومي مصري استمرارًا لحزب الأمة وعلى أكتاف عدد من ذوي الثقافات الأوروبية، وكبار الملاك[٦٨]. ثم تلاوة حزب الاتحاد ١٩٢٥ فحزب الشعب ١٩٣٠ وحزب السبعة ونصف ١٩٣١.

من الناحية الفكرية:

١- انتهت ثورة ١٩١٩ بانتصار التيار (القومي المصري) الليبرالي وتقلص التيار السلفي (الإسلامي)، وقد اتخذ الصراع بين هذين الاتجاهين مسارًا فكريًا أكثر تحديدًا عن الفترة السابقة على الثورة. ونلحظ أنه بينما كان دعاة الاتجاه الليبرالي ومعظمهم خريجو الجامعات الأوروبية من أنصار التيار القومي المصري كان أنصار التيار السلفي، ومعظمهم من الأزهريين أقرب إلى الفكرة العربية. والواقع أن طغيان الفكرة الإسلامية على الفكرة العربية الذي كان سائدًا في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ظل مستمرًا[٦٩]. رغم أن الظروف التي أحاطت بالعالم العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولي قد ساعدت على تنشيط الفكرية العربية في مصر خاصة قضية فلسطين التي أمدتها بدفعة قوية. كما قام تآلف وثيق بين أنصار التيار الإسلامي والتيار العربي وتكتلوا لمواجهة التيار القومي المصري، وقد ساعد هذا الصراع على سرعة حدوث الاستقطاب بالنسبة للتيار العربي الذي انحاز إلى جانب التيار الإسلامي.

٢- التيار الشرقي:

في هذه الفترة التي تميزت بسيادة التيار المصري ظهرت تيارات فكرية وحدوية أمدت التيار العربي بمدد فكري ومعنوي ساهم في تمهيد الطريق أمامه وسط التيارات الفكرية الأخرى التي كانت تتصارع داخل المجتمع المصري. ومن أبرز هذه التيارات الوحدوية التيار الشرقي الذي تجسد في جمعية الرابطة الشرقية التي أعلن قيامها في مارس ١٩٢٢. واهتم أعضاؤها بالقضايا العربية وناصروها على أسس مختلفة. وقد تألفت الرابطة من عدد من المفكرين والسياسيين المصريين

ذوي انتماءات فكرية متناقضة، فقد كان يرأسها مجموعة من أنصار التيار السلفي أمثال السيد عبد الحميد البكري ونائبيه الشيخ محمد بخيت ورشيد رضا والشيخ محمد الغنيمي التفتازاني مساعدًا عربيًا لكاتم السر العام(٧٠). كما كانت تضم عناصر علمانية مثل أميل زيدان ومحجوب ثابت ومنصور فهمي وأحمد شفيق باشا. كذلك ضمت بعض العناصر الموالية للتيار العربي مثل أحمد زكي باشا وعزيز المصري. كما ضمت مصطفي نور الدين مساعدًا تركيًا لكاتم السر ومحمد رضا قزويني مساعدًا فارسيا لكاتم السر. وقد جاء في قانون الجمعية (أنها جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الأمم الشرقية بالعلم الذي هو أساس كل فلاح وبإحكام الروابط بين هذه الأمم، وبأحياء حضارة الشرق وإرجاعه إلى فضائله مع الأخذ بما في مدنية الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية). كما نصت في قانونها على أن المحاولات الدينية والمنازعات السياسية خارجة عن حدود وظيفتها(٧١).

وقد شكلت الجمعية سبع لجان لمعالجة كل ما يتعلق بأمور الشرق والعمل على النهوض به وهي اللجنة التركية واختصاصاتها تركيا الحديثة وآسيا الوسطي، واللجنة الفارسية وتبحث في شئون فارس وأفغانستان وبلوخستان واللجنة العربية وتهتم بشئون بلاد العرب وسوريا والعراق، واللجنة الهندية واختصاصها شئون الهند والهند الصينية، ولجنة الشرق الأقصى وتبحث في الهند الشرقية وسيام والصين واليابان، واللجنة المغربية واختصاصها شمال أفريقيا، ثم اللجنة الأفريقية واختصاصها السودان والحبشة وباقي البلاد الأفريقية(٧٢).

ونلاحظ من أسماء أعضاء الرابطة الشرقية وانتماءاتهم الفكرية فضلاً عن تشكيل لجانها واختصاصاتهم على النحو الذي سبق عرضه أن الدافع إلى إنشائها لم يكن فكرة الجامعة الإسلامية ولا الفكرة العربية أيضًا، فإن تنوع اتجاهات أعضائها علاوة على ما جاء على لسان مجلتها من أن الدافع إلى أنشاء الجمعية هو شعور أبناء الشرق بافتقارهم إلى جمعية تؤلف بينهم وتربط شعوبهم وتعمل على أعلاء كلمتهم(٧٣) – يشير

بوضوح إلى أن الفكرة الشرقية وحسب هي التي كانت الدافع الأساسي لتأسيس هذه الجمعية. وقد ساعد تشكيل الرابطة الشرقية على هذا النحو باعتبارها تضم خليطا من ذوي الاتجاهات الشرقية والإسلامية والعربية المصرية على أن تلقي التشجيع والارتياح من جانب قطاعات كبيرة من المثقفين ورجال الدين وبعض أعضاء الأسرة المالكة والتجار والمستشرقين(٧٤).

ويرى د. عبد العظيم رمضان أن الرابطة الشرقية هي جسر الانتقال بين فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت سائدة قبل الحرب العالمية الأولي وفكرة القومية العربية، والواقع أن الرابطة الشرقية تمثل تيارًا علمانيًا مستقلاً رغم أنها كانت تضم خليطًا متناقضًا من المفكرين السلفيين والعلمانيين فقد ظهرت في مرحلة تتميز بسيطرة التيار العلماني وانكماش التيار السلفي. كما أنها انتهت بسيطرة التيار العلماني المتغرب. وقد بدأ ذلك واضحًا عندما أصدرت الجمعية في ١٥ أكتوبر ١٩٢٨ مجلة الرابطة الشرقية بعد ست سنوات من تأليف الجمعية فكانت تتبني أفكار وإيديولوجية الأحرار الدستوريين. إذ كان يرأس تحريرها الشيخ على عبد الرازق، وكان من أبرز كتابها الدكتور طه حسين ومنصور فهمي ومصطفي عبد الرازق وسلامة موسى، مما ساعد على تفجر الخلاف داخل الرابطة بين ذوي الاتجاه الإسلامي بقيادة رشيد رضا وبين أصحاب الاتجاه العلماني الذي كان يسيطر بالفعل على فكرة الرابطة ونشاطها. وهذا يقيم دليلاً على أن الفكرة العربية لم تكن امتدادًا أو جزءاً عامًا من الفكرة الشرقية خصوصًا وأن التيار المسيطر داخل الرابطة لم يكن التيار ذا النزعة الإسلامية أو العربية بل على العكس فإن التيار الذي كان يمثل القومية المصرية والانتماء للحضارة التوسطية هو الذي سيطر على أفكار واتجاهات الرابطة. كما أن المفاهيم التي حددها بعض أعضاء الرابطة كإطار إيديولوجي للفكرة الشرقية كانت تتفق تمامًا مع أفكار وإيديولوجية الأحرار الدستوريين فهي لا تستند إلى أساس ديني أو عرقي بل تستند إلى تصور صحيح في ذلك الحين للاختلاف المادي والحضاري بين الشرق والغرب. كما أنها تترجم العوالم المتعددة التي تنتمي إليها مصر فهي، من ناحية، جزء من العالم الإسلامي بحكم الانتماء الديني وهي من ناحية ثانية جزء من العالم الشرقي الذي يقف

في مواجهة العالم الغربي الاستعماري. ومن ناحية ثالثة هي جزء من عالم البحر المتوسط الذي تربطها به صلات حضارية تاريخية، كما أنها من ناحية رابعة جزء من وادي النيل الذي يعتمد على النهر العظيم في حياته ومعاشه. ثم هي جزء من العالم العربي الذي تربطها به أكثر من رابطة مادية ومعنوية. وقد روي الدكتور محمد حسين هيكل قصة تأليف الرابطة الشرقية باعتبارها دعامة لصالح مصر القومية عن طريق تقوية علاقات مصر بالغرب وبالشرق عموما. إذ كتب يقول[٧٥] لقد فكر جماعة من المصريين في أن يصلوا حركة مصر القومية بحركة جاراتها العربية وبحركة البلاد الشرقية التي تخضع لسلطان الأجنبي مثلما تخضع مصر. فقد كانت البلاد العربية التي أنفصلت عن الدولة العثمانية تفكر في الاستقلال الذي كفلته لها انجلترا في مكاتبات رسمية.. ثم إن هناك حركة استقلالية قد بدأت في الهند يقودها الزعيم غاندي وجعلت المقاومة السلبية شعارها.. وقامت بلاد أخرى تطلب استقلالها بعد أن ظلت عشرات السنين خاضعة للاستعمار. أفلا يمكن تنظيم هذه النهضات القومية كلها تنظيمًا يؤدي إلى نجاح مشترك؟ لهذا فكر جماعة من المصريين الشرقيين المقيمين بمصر أن يصلوا حركة مصر القومية بهذه الحركات الاستقلالية في بلاد الشرق المختلفة.."، ثم يمضي يقول: "وقد اعتذرت يومئذ عن الانضمام للرابطة ذلك أنني أري من التفاوت بين مصر وبين هذه البلاد الشرقية في ثقافتها وفي لغاتها وفي مقوماتها القومية ما قد يصرفنا نحن المصريين عن تركيز جهودنا في قضية وطننا وما يدعونا لحمل عبء لا طاقة لنا به وبذلك يضيع جهدًا ما أحوج مصر إليه[٧٦].

وقد حاول الشيخ على عبد الرازق أن يحدد مقدمات الفكرة الشرقية وتاريخ ظهورها فأشار الى أنه لا يستطيع أن يحدد تاريخاً مفصلاً للفكرة الشرقية التى أخذت فى الأعوام الأخيرة وخصوصاً بعد الحرب الكبرى تحيا بين الشرقيين وتملأ أذهانهم والتى أخذت تتطور فى صور مختلفة وتنتقل من قطر إلى قطر، ومن جماعة إلى جماعة حتى كادت تصير حقيقة عملية لا مجرد عقيدة وفكر، وقد أرجع أصولها إلى أيام الحروب الصليبية حينما تألب ملوك أوروبا تحت راية الصليب يشنون على

الإسلام تلك الحروب الصليبية فنشأت الفكرة الشرقية في ذلك الحين، وكان ذلك في مواجهة الفكرة الغربية التي تعني رجال الصليب(٧٧).

ويشير الشيخ علي عبد الرازق في مقاله إلى أن أصول الفكرة الشرقية ترجع إلى الصراع التاريخي بين الشرق والغرب والذي اتخذ في البداية طابعًا دينيا هو الحروب الصليبية، ثم تطور في العصر الحديث واتخذ أشكالاً أخرى أشمل عندما، اتسعت مساحة الدنيا وانكشفت أمام أوروبا المتألبة بلاد جديدة غير بلاد الإسلام عندئذ ظهرت الفكرة الشرقية بمعناها الحديث الواسع ويشمل آسيا وأفريقيا، وذلك في مواجهة الفكرة الغربية التي تعني أوروبا وأمريكا(٧٨). والفكرة الشرقية بهذا التحديد تقترب في جوهرها من التقسيم المعاصر الذي يضع آسيا وأفريقيا في جبهة التحرر الوطني مقابل أوروبا وأمريكا في الجبهة الاستعمارية. ويشير عبد الوهاب عزام إلى المضمون ذاته في مقال بعنوان "واجب الشرقيين اليوم" محاولا تحديد واجبات الشرقيين في تلك المرحلة وذلك باستعراض تاريخ الصراع بين الشرق والغرب منذ القدم، صراع روما وقرطاجة وحروب الفرس واليونان، وتنازع الروم الشرقيين والأكاسرة على غرب آسيا. ووقائع الفتح الإسلامي والحروب الصليبية، وفتح الأتراك لشرقي أوروبا إلى أن يصل إلى العصور الحديثة حيث، نظر الشرق فإذا الغرب يشن غاراته ويوالي هجماته ومال الميزان على الشرق كل ميل ثم نظر فإذا أسباب القوة والفتنة مجتمعة للغرب بسلاح مدمر. سخر البر والبحر بالبخار ثم بالكهرباء، وسلسلة من المعجزات يحار فيها العقل والنظر. فجاهد الشرق جهد قوته ثم عبء بالجهاد فاستكان "ويرى الشيخ عبد الرازق أن الدواء" هو أن نجد أنفسنا بعد أن فقدناها وضللنا عنها، وذلك بأن نصل ماضينا وحاضرنا بالمستقبل الذي هو أشبه بنا وبأخلاقنا وأدبنا وعقائدنا وتاريخنا(٧٩).

ومن هنا نرى أن الرابطة الشرقية لم تكن معبرًا إلى الفكرة العربية في مصر كما يرى د. عبد العظيم رمضان بل كانت تمثل تيارًا علمانيًا مستقلاً أشمل من الفكرة العربية ومن الفكرة الإسلامية بل تضمها معًا وتتجاوزهما وتمثل منهجا أكثر تكاملاً وأكثر عصرية.. فهي قد وضعت انتماء مصر في إطارها العصري الصحيح. لقد

تجاوزت الاعتبارات الدينية المحضة التي تميز ذوي الانتماء السلفي وأن لم تغفلها. كذلك تجاوزت الروح الإقليمية الضيقة التي تميز بها دعاة الاتجاه القومي المصري بشقيه الفرعوني والمتوسطي (الحضارة المتوسطية) وأن شملتهما معًا. وهي تعتبر الفكرة الجنينية التي برزت فيما بعد في مرحلة ازدهار حركة التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين وتبلورت في جبهة الشعوب الأفرواسيوية في مواجهة الجبهة الأوروبية إلا أنها قدمت خدمات لا بأس بها للتيار العربي في مصر.

العوامل التي ساعدت على نمو التيار العربي في مصر:

لقد ترددت القيادة السياسية في مصر في اتخاذ سياسة عربية تسير بموجبها أو تتبني سياسة أوسع شرقية أو إسلامية توجه خطاها. وكما سبق أن عرضنا كانت جميع هذه التيارات تتصارع وتتعايش داخل المجتمع المصري ولكن لم يتح لأي منها السيادة والتفوق. ومن دلائل عدم تبلور الاتجاهات السياسية في مصر خلال هذه الفترة، وترددها وحيرتها بين النزعتين القومية المصرية والعربية الإسلامية محاولات تجديد الخلافة الإسلامية وإحيائها على يد الهيئة الدينية العليا في الأزهر التي كان يتزعمها الشيخ مصطفي المراغي.

وقد وجدت في مصر بعض جماعات تميل إلى مبايعة الملك بالخلافة اعتقادًا منها أنها تؤدي واجبًا دينيًا. على أن هذه الجماعات كان نفوذها محدودًا ودعايتها محصورة. فهناك مقالات دينية لها وزنها أبدت اعتراضها على ذلك علاوة على موقف حزب الوفد الذي عارض الفكرة معارضة صريحة تجلت في موقف الصحف الموالية له بذات محاولات فى مصر ابعث الخلافة الإسلامية وسعى الأزهر لذلك ودعا الى مؤتمر فى القاهرة يجتمع فيه علماء المسلمين وأقطابهم سنة ١٩٢٦ وقد قرر المؤتمر يومئذ عدم ملاءمة الظروف لاحياء الخلافة. وتأجل البت فيها الى مؤتمر أخر اشترط أن يعقد فى القاهرة ليعالج المسألة ويفصل فيها. المصدر د. أحمد طربين – الوحدة العربية بين ١٩١٦–١٩٤٥ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٧ ص ١٩٥

وعلى الرغم من جميع وسائل التمزيق، والتفتيت التي لجأت إليها الدول الاستعمارية لتجزئة المشرق العربي فقد ظلت الصلة قوية بين أجزاء الأمة العربية. وقد طرأت في الثلاثينات عدة متغيرات هامة على الواقع العربى أو ما يمكن أن يطلق عليه العوامل المضادة للتباعد العربي(٨٠). مما ساعد على تخطي الحواجز الإقليمية المصطنعة، والبدء في دخول مرحلة تاريخية تختلف نوعيًا عن المراحل السابقة لها. ويمكن إيجاز هذه المتغيرات فيما يلي:

أولا: تطور وسائل المواصلات وبالذات أنشاء طريق السيارات عبر بادية الشام مما ساعد على تقريب المسافات بشكل ملموس بين كل من دمشق وبغداد- ودمشق، وعمان. كذلك تحسن سبل المواصلات بين مصر والمشرق العربي براً، وبحراً وجواً. وقد شجع ذلك على خروج المثقفين المصريين من عزلتهم وذهابهم في رحلات مدرسية وثقافية إلى الأقطار العربية أو للعمل في بعض المعاهد الجامعية الحكومية(٨١).

ثانيًا: انتعاش البورجوازية المصرية وتطلعها إلى خارج حدودها بحثًا عن الأسواق. فإذا كانت ثورة ١٩١٩ قد انتهت إلى الفشل في تحقيق الاستقلال السياسي كما كان يبتغيه المصريون فإن الطبقة التي استطاعت أن تكسب إلى حد كبير من هذه الثورة كانت الطبقة البورجوازية في قطاعها الزراعي وقطاعها الصناعي والتجاري. وقد جاءت هذا المكاسب على مرحلتين سياسيتين: الأولي تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، الذي أتاح للبورجوازية المصرية نوعًا من المشاركة السياسية في الحكم مع الاحتلال (رغم التحفظات الأربعة) ثم معاهدة ١٩٣٦ التي كان من أبرز نتائجها إلغاء الامتيازات الأجنبية. وقد ساعدت هذه الظروف على نمو البورجوازية المصرية وتطورها مما جعلها ترمي ببصرها إلى خارج حدودها بحثًا عن السوق.. وسرعان ما انتقلت إلى العمل بمجرد ظهور سحب الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩- ١٩٢٢)، خاصة وأن عام ١٩٢٧ شهد أزمة حادة في تصدير القطن المصري فكسدت تجارته مما دعا البورجوازية المصرية إلى التفكير في البحث عن أسواق جديدة لتصريف القطن خارج الأسواق

الأوروبية التي كانت تحتكر العملية وفي سنة ١٩٢٨ قام طلعت حرب مؤسس ومدير بنك مصر بجولة في أقطار المشرق العربي لبحث أمكانية فتح فروع لبنك مصر. وقد تبنت مجلة السياسة الأسبوعية هذا الاتجاه. ورو جت له من خلال المقالات التي كانت تنشرها عن أقطار المشرق العربي، كما أوفدت أبرز كتابها "عبد الله عنان" لزيارة هذه الأقطار والكتابة عنها. والمعروف أن السياسة كانت لسان حال الأحرار الدستوريين وهو الحزب الذي كان يجسد مصالح كبار الملاك في مصر.

ثالثًا: انتشار الصحافة والإذاعة كوسائل لنشر الثقافة وكوسيلة اتصال فعالة بين جماهير المنطقة العربية. وقد لعبت الصحافة المصرية دورًا هامًا في هذه الفترة في نقل ومتابعة الأحداث وخلق رأي عام عربي حول ما يدور في المنطقة خاصة وأن معظم الصحف المصرية اليومية كان لها مندوبون ومراسلون في فلسطين، وسوريا، ولبنان، والعراق مثل الأهرام، والمقطم، والسياسة، وكوكب الشرق، والبلاغ، لتغطية الأحداث ومتابعتها في حينها.. وإلى جانب المجلات الفكرية والثقافية كالهلال والمقتطف والرسالة التي كانت ملتقى رجال الفكر والسياسة من كافة الأقطار العربية كانت الأعداد الأسبوعية التي تصدرها الصحف اليومية تقوم أحيانا بنفس الدور كما أصبحت تبذل اهتماما أكبر بدراسة أوضاع البلاد العربية.

كما أن الصحف المصرية كانت تنشر كثيرًا من الإخبار والتعليقات نقلاً عن الصحف العربية التي كان ترد إليها بصفة دورية.. وقد ترتب على ذلك زوال المعني الذي أحاط بكلمة (عرب) بين المصريين والذي كان من أهم العوائق التي أدت إلى تباعدهم عن الفكرة العربية خصوصًا وأنها كانت مقترنة في أذهانهم بالتأخر والهمجية، وبدأت لفظة العرب في تلك الأثناء تنتقل تدريجيًا من معناها الذي كان سائدًا في مصر قبل الحرب العالمية الأولي والمرادف لكلمة الأعراب إلى مدلولها الحديث. وقد تم ذلك عبر محاولات واجتهادات من الكتاب والمفكرين المصريين شغلت صفحات كثيرة من الصحف والمجلات في تلك الفترة.

كما ترتب على ذلك أيضًا أن أصبح ما يجري في مصر يجد صداه في الأقطار العربية الأخرى. وأصبحت القوى الشعبية الناشئة في هذه الأقطار تتابع باهتمام تفاصيل السياسة الداخلية المصرية وعلاقات القوى داخل المجتمع المصري، والضغوط التي تتعرض لها الحركة الوطنية المصرية من قبل السراي، والاحتلال، وأحزاب الأقلية(٨٢).

رابعًا: ظهور الخطر الصهيوني على أثر تطور قضية فلسطين على نحو يهدد الوجود العربي كله بالفناء.

فقد جرت خلال هذه الفترة (أغسطس ١٩٢٩) حوادث حائط المبكي، الحائط الغربي للمسجد الأقصي، آخر آثار هيكل سليمان عند اليهود ومصعد البراق عند المسلمين.. وكان الصراع في صميمه بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين وبين الصهيونية والانتداب البريطاني بسبب الهجرة اليهودية المتزايدة. وقد أراد اليهود انتزاع ملكية الحائط ووضعوا الستار عليه، وسارت مظاهراتهم تهتف، الحائط حائطنا وهب العرب يهتفون. إن الوطن لهم، والحائط للمسلمين وأشهر السلاح وسالت الدماء وسقط مئات القتلى والجرحى من الجانبين، وتحركت الصهيونية في العالم مستثمرة علاقاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية، وركائزها الاقتصادية في هذه الدول كما تحركت الشعوب العربية أيضًا متعاطفة مع الشعب العربي في فلسطين. وقد تزعمت الفئات الدينية التي ارتاعت على الأماكن المقدسة حركة التأييد، والمساندة للشعب الفلسطيني. والواقع أن شعب فلسطين كان يخوض معركة لا تتعلق باستقلاله فحسب ولكن بوجوده المادي، ولا تتعلق ببلده وحدها ولكن بالعالم العربي كله، إذ كان مطعن الرمح الاستعماري في الجسد العربي كله. وعلا صوته لتكتيل القوي على كل المستويات المتاحة عربيا وإسلامية ودولياً باسم التحرر وباسم العروبة وباسم الإسلام وقد دعا لعقد مؤتمر إسلامي عام بالقدس في ديسمبر من ذلك العام لإيجاد كتلة إسلامية عربية معادية لمطامع الصهيونية(٨٣) وفي ذلك الوقت كانت مصر تعيش ملحمة صراع وطني ديمقراطي طرفها الأساسي الحركة الوطنية بقيادة الوفد في مواجهة طرفي الصراع التقليديين وحلفائهما من أحزاب الأقلية أي السراي والاحتلال البريطاني وقد عارض

الملك أية دعوة للجامعة الإسلامية لا تخرج من تحت تاجه بعد فشل مشروع الخلافة ولاشك أن الأنجليز كانوا يعارضون أي اقتراب مصري من الشعب الفلسطيني والعربي وارتبطت مصالح كبار الملاك المصريين بفكرة القومية المصرية المنعزلة عن العرب ووقفت حكومتهم سنة ١٩٢٩ ضد ثورة شعب فلسطين وكانت جريدتهم (السياسة) تهدد الوطنيين الفلسطينيين في مصر بالطرد لتهيجهم الرأي العام خوفًا من إغضاب الإنجليز من ناحية. وخوفًا من تشجيع الشعب المصري على التمرد على حكمهم خصوصًا وأن مقومات هذا التمرد كانت متوفرة(٨٤).

وقد كتب محمد عبدالله عنان في جريدة السياسة الأسبوعية يقول "مهما كانت أسباب هذه الحوادث الدامية ومهما كانت المسئولية في إثارتها فإنه لا يمكن أن تتجاهل اليهودية هذه الحقيقة وهي أن الوطن القومي اليهودي لا يمكن أ، يقوم على سياسة العنف في قلب شعوب تجمعها روابط جنسية ودينية وتاريخية لا يمكن أن يغفل أثرها، ولكنه في ذات الوقت أدان سياسة العنف التي يسلكها الشعب الفلسطيني قائلاً إنه "لا يعتقد أن سياسة العنف طريق صالح يستطيع أن يسلكه الشعب الفلسطيني قائلاً إنه "لا يعتقد أن سياسة العنف طريق صالح يستطيع أن يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانية لأن سياسة العنف أصبحت اليوم طريقًا خطرًا لا يأمن سلوكه الأقوياء أنفسهم فضلاً عن الضعفاء(٨٥).

كما كتب عبد الله عنان مرة أخرى في ٣١ سبتمبر ١٩٢٩ ينصح كلاً من العرب واليهود بالاعتدال قائلاً، أن في وسع العرب أن يهتموا أكثر بالاتحاد والجهاد السلمي المستمر وأن يحولوا في المستقبل دون إراقة الدماء وعلى اليهودية إذا أرادت سلامًا أن تقنع الأمم العربية بأنها لا تفهم فكرة الوطن القومي إلا في معنى متواضع وفي دائرة محدودة وأنها لا تنوي افتئاتا على حقوق العرب أو أوطانهم، وقد أمتدحت جريدة إسرائيل الصهيونية التي كانت تصدر في مصر هذا الاتجاه من جانب صحيفة السياسة. كما بعثت جريدة هآرتس الصهيونية مقالاً نشرته جريدة السياسة الأسبوعية على صفحاتها يتضمن إشادة هآرتس بهذا الصوت الواحد في العالم الإسلامي الذي

يطالب بالروية، والأنصاف.. إذ لم يقم بين المسلمين المتنورين من يخاطب الجمهور الثائر بمثل هذه الكلمات الواضحة البسيطة التي وجهها محرر السياسة مؤكداً أن سياسة العنف ليست طريقًا صالحًا يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه"(٨٦). أما في الجانب المقابل فقد استفزت أحداث البراق ومحنة فلسطين عامة لدي الشعب المصري جماع المشاعر الوطنية والإسلامية والمشاعر العربية الغامضة الوليدة.

وقد قادت الصحف الناطقة بلسان حزب الوفد وهما البلاغ وكوكب الشرق حملة واسعة النطاق لتنوير الرأي العام المصري بأبعاد القضية الفلسطينية وتنبيهه إلى الخطر الصهيوني، وذلك بالتوسع في نشر المقالات والتعليقات والأخبار عن النشاط الصهيوني في فلسطين وطرد الفلاحين الفلسطينيين منها وطرد العمال العرب، وإحلال اليهود مكانهم وتواطؤ سلطات الانتداب البريطاني مع الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الذي لم يعدم وسيلة المقاومة السلمية من احتجاجات ونداءات إلى عصبة الأمم والعالم الإسلامي والعربي واضطرابات ومظاهرات شملت جميع المدن الفلسطينية، ثم صدامات مباشرة وغير مباشرة ضد الخصوم المحليين وحلفائهم من جنود الانتداب. وقد كانت الصحف الوفدية خصوصًا البلاغ غالبًا ما تنقل من الصحف الفلسطينية، كما كانت تتيح فرصة واسعة للكتاب الفلسطينيين المقيمين بالقاهرة الكتابة على صفحاتها وإبراز الجوانب المختلفة للمشكلة الفلسطينية.

وقد كتبت البلاغ عدة مقالات أبرزت فيها الأسباب الحقيقية لأحداث البراق كتبت في أحداها تقول: "يكفي القول بأن العرب في فلسطين هم أصحاب البلاد الذين لا يجوز منازعتهم فيها ولا في أي ركن من أركانها حتى ولو كان هذا الركن لا علاقة له بعقيدة دينية، أو كان غير محل تقديس واحترام من الوجهة الدينية. وإذا كان العرب كذلك والصهيونيين ينازعونهم في هذه الحقوق ويريدون أن يقيموا قومية صهيونية على أنقاض القومية العربية وحكومة صهيونية بدلاً من الحكومة الوطنية العربية، نقول إذا كان الأمر كذلك فهو يكفي وحده في أن يلقي ضوءًا باهرًا يكشف أسباب تلك المعارك الدموية التي تحرجت الحالة من أجلها في فلسطين.. وطالما بقي هذا الوضع

الشاذ فإن النزاع سوف يستمر وسيبقي الفلسطينيون على اعتقادهم بأن الصهيونيين قوم مغيرون عليهم ينازعونهم في بلادهم ويريدون أن يبنوا لهم قومية على أنقاض قوميتهم ووطنا على أنقاض وطنهم، إلى أن يقول: "ولنفرض جدلاً أن السبل ممهدة معبدة أمام ذلك الحلم الجميل الذي يراه اليهود أو بالأحرى بعض اليهود في منامهم فأين يـذهب الفلسطينيون وهم الأكثرية الساحقة بمصالحهم وقوميتهم، وبعد كم ألف مـن الـسنين يستطيع الصهيونيون أن يكونوا الأكثرية التي تجرف أمامها تلك الأكثرية الساحقة من الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين حتى تصبح أقلية.. إذن فالمضني في تنفيذ وعد بلفور هو منشأ هذا النزاع ولولاه ما وقف اليهود موقفهم من مسألة البراق، ولا نظن أن هذا يؤدي إلى استقرار الحالة في فلسطين استقرارًا تامًا لأن الفلسطينيين لا يسكتون بطبيعة الحال عن حقوقهم في بلادهم التي لا ينكرها عليهم أحد[٨٧].

ومن الواضح أن الفكرة العربية في مصر قد تلقت بقضية فلسطين دفعة قوية إلى الأمام. فقد خطب محمد على علوبة باشا الذي تولى الدفاع عن حقوق العرب في جدار البراق الشريف أمام لجنة التحقيق الدولية خطاباً هاجم فيه الفرعونية هجومً شديدًا ودعا لعروبة مصر في حرارة فقال. "وأني ليحزنني أيها السادة أن أرى وأسـمع بعـد أن ذهبت إلى فلسطين ودافعت بضعفي عن قضيتها وعلمت أن الأمة العربية أمة واحـدة يربطها رباط واحد، نعم يحزنني أن أفكر أنه يوجد في بلادي فريق مهما كان شـأنه يبث فكرة الفرعونية، أنا لا أدرى ما الحافز الذي حدا ذلك النفر الضئيل في مصر إلى أن يصرح بقوله.. حذار يا مصر أن تكوني واسطة عقد الأمم العربية وأختها الكبرى لأنك لست منها بل أنت فرعونية.. إن الفرعونية ليست جنسًا من أجناس البشر ولكنها عصر من عصور الحكم.. على أنني لو فرضت أن هناك جنسًا فرعونيًا لحمًا ودمًـا وعظمًا فإن فوق هذا الجنس جنسًا آخر ورابطة أخرى هي أن هـذه الأمـم العربيـة تجمعها لغة واحدة وتقاليد واحدة وعادات واحدة وآلام واحدة وآمال واحدة فهل يظـن ظان أنه يوجد اعتبار فوق هذه الروابط الوثيقة إلا التي لا تنقصم أواصرها، ما مصر إلا عربية ولا تقوم إلا على أنها عربية ولا يرضي المصريون بغير العربية[٨٨].

خامسًا: التطورات السياسية داخل المجتمع المصري:

طرأت في تلك الفترة عدة متغيرات داخل المجتمع المصري ساعدت على نمو الاهتمام المصري بالفكرة العربية يمكن إيجازها فيما يلي:

أ - ظهور حركات إسلامية ذات اتجاه سلفي (الأخوان المسلمين ومصر الفتاة).

ب - تكوين صحف وروابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربي في مصر مثل جمعية الشبان المسلمين ومجلة الرابطة العربية.

ج - تبني حزب الوفد لهذه الفكرة واهتمامه بقضية فلسطين.

وسنعالج كل عامل من هذه العوامل على حدة..

أولا: هناك عدة أسباب موضوعية مهدت لظهور بعض الحركات السلفية مثل حركة الأخوان المسلمين ومصر الفتاة في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات.. فقد طرأت على المجتمع المصري خلال هذه الفترة تغييرات سياسية وفكرية واقتصادية وحضارية عميقة ومتنوعة، كان لذلك انعكاسه على البيئة الاجتماعية والسياسية وأساليب الحياة في مصر.

فمن الناحية السياسية بعد انتهاء ثورة ١٩١٩ بالفشل في تحقيق الاستقلال السياسي وخروج الطبقات الشعبية من هذه الثورة دون مكاسب على الإطلاق إذ استأثرت الطبقة البرجوازية بجناحيها الزراعي، والصناعي التجاري ببعض المكاسب السياسية التي أتاحت لها فرصة النمو الاقتصادي والمشاركة السياسية في الحكم مع الاحتلال. واتسمت هذه الفترة بالصراع بين أجنحة البورجوازية المصرية المختلفة حول السلطة وظلت آمال الجماهير في الاستقلال وتحقيق الديمقراطية السياسية رهينة هذا الصراع. وتعلقت الأبصار بالوفد خلال العشرينات ليقود المجتمع إلى هذه الغاية فلما تلكأ تحقيق هذين المطلبين بل وطرأ مزيد من المشاكل الاجتماعية التي لم تكن لها حلول واردة في برامج الوفد، ساعد ذلك في تحول كثير من الأنظار، يأسًا من الأوضاع الراهنة وأملا فى تلمس الحلول فى أساليب أخرى، أو أهداف مغايرة وقد اتسمت الفترة من أواخر العشرينات الى الثلاثينات بالانقلابات الدستورية والصراعات

التى تدور فى دائرة شبه مغلقة بين الوفد وأعدائه وبدا للبعض أن المؤسسات السياسية التى نجمت عن ثورة ١٩١٩ لا يظهر فى الأفق أنها قادرة على تفريج أزمة المجتمع وثار الشك حول قدرة الوفد على أحداث التغييرات المطلوبة وأنتكس تفاؤل العشرينات فى نظر الكثيرين إلى تشاؤم وحيرة وخوف من أن يسير المستقبل على نفس المنوال(٨٩)

أما من الناحية الفكرية فعلى الرغم من أن الشعب المصرى كان يدين بالمذهب القومى الليبرالى كما ظهر واضحاً فى موقفه من ثورة ١٩١٩ والتفافه الكامل حول الوفد بكل ما يرمز اليه وخلو تطلعه الى الأستقلال من أى مضمون اسلامى، فإن هذا التخلى عن الأسلامية كفكرة سياسية أى كقومية ووطن وحكومة لم يترتب عليه مطلقاً التخلى عنها كدين وتراث وحضارة وتقاليد. ومن ثم فقد كان من الطبيعى أن ينفتح قلبه لدعوة تخاطب هذه المعانى فى نفسه دعوة دينية تدعو لكتاب الله وسنة نبيه وتعمل لإعادة مجد الأسلام والمسلمين(٩٠).

بالإضافة الى أن هذه الفترة شهدت هجوم البعثات التبشيرية الأوروبية ومحاولاتها التغلغل فى المجتمع وانشاء ركائز دينية فى مصر تتبع الغرب. وقد أقترن ذلك فى أذهان البعض بحركة الفكر العلمانى التى قادها المثقفون المصريون الذى أحتكوا بالثقافة الغربية. ووضعت دعو الأخوان المسلمين حركة الأستنارة الفكرية بجانب النشاط التبشيرى ودعت الى النظر اليها بإعتبارها هجوماً واحداً على الأسلام. وأستقر ذلك فى عواطف الكثيرين وأقتصرت الدعوة على الأثارة دون محاولة للتوضيح تكشف أن حركة الأستنارة إنما هى موجهة بالضرورة ضد النشاط التبشيرى.

ومن الناحية الأقتصادية كان التطور الرأسمالى فى مصر يتجه إلى تصفية الكثير من الحرفيين وأصحاب الدكاكين والتجار ويقذف بهم الى صفوف العمال وعندما أحس هؤلاء بأن المستقبل فى غير مصلحتهم اتجهوا الى الماضى يلتمسون منه العون وبقدر ما ينغلق أفق المستقبل أمامهم بقدر ما ينمو الخيال ويستمد من الماضى مدينته الفاضلة وكانت الدعوة السلفية هى ما يجذب هؤلاء بفكر غامض كالأحلام ظنوه مخرجاً. فضلاً

obeikandi.com

عن أن اشتغال العمال المصريين فى تلك الفترة فى مؤسسات رأسمالية يسيطر على معظمها الأجانب أو اليهود ساعد على تغليف العلاقات الطبقية بمسوح دينية وأصبح الوضع فى أذهان العمال بمثابة سيطرة غير المسلمين على الأسلام. وفى غياب الفهم الصحيح للعلاقات الطبقية فى المجتمع لا يبدو واضحاً أفق التطور المستقبلى وتصبح صور الماضى هى الرصيد الوحيد للأمل فى الخلاص[٩١].

ومن هنا وجدت الدعوة السلفية الطريق ممهدة والظروف ملائمة تماماً سياسياً وفكرياً واقتصادياً. ولقد نشأت حركة الأخوان المسلمين بمثابة رد فعل عنيف ضد الفشل السياسى والاجتماعى للنظام القومى الليبرالى وقد قامت الجماعة فى أواخر العشرينات بزعامة حسن البنا بإعتبارها حركة سياسية دينية مستلهمة التفسير الجاد للإسلام بصدد المسائل الاجتماعية والسياسية وكان الأخوان منذ بداية حركتهم يدعون الى إصلاح دينى سلفى شبيه بما كان يدعو اليه رشيد رضا وأن فاتوه فى التركيز على الهمية الأجتماعية للقرآن والسنة، فلوحوا للفقراء بقرب عهد تحقيق العدالة والمساواة فى نفس الوقت الذى طالبوا باستقلال مصر التام ولكن فى أطار إسلامى أكثر منه مصريا أو عربيا. وقد قدم الأخوان المسلمون أنفسهم بإعتبارهم بديلاً لحكم الساسة العلمانيين. وبالتالى للتنط الأوروبى المستورد فيما يتعلق بالحكومة والمجتمع. وهو النمط الذى رفضوه جملة وتفصيلاً بما فى ذلك قيمه ونظمه.

ورغم ذلك فإن جماعة الأخوان المسلمين لم تتوفر بدائل سياسية أو فكرية ملائمة. كما أنها عجزت عن طرح حلول موضوعية للمشاكل التى كانت تواجه المجتمع المصرى أنذاك بل لم تسع الى فهم هذه المشاكل وكان تأكيدها على أن القرآن أساس لقيام مدينة فاضلة إسلامية يقوم على العقيدة لا على الإثبات العقلي[٩٢]. ومن الأسباب التي أدت إلى نجاح حركة الإخوان المسلمين في تلك الفترة جمود علماء الأزهر وتوقف نشاطهم عند حدود معينة من التفسيرات والشروح وبعدهم عن اهتمامات الجماهير الحقيقية وعدم اهتمام الأحزاب السياسية القائمة بالمشكلات الاجتماعية التي كانت تطرح نفسها بإلحاح في ذلك الوقت.

وفي السنوات السبع السابقة على قيام الحرب العالمية الثانية خاض الإخوان ميادين النشاط الآتية: فقد شكلوا التشكيلات شبه العسكرية، وهي التي يطلق عليها البنا اسم التشكيلات الكشفية والرياضية نظموا المحاضرات والدروس في الدور والمساجد وأسسوا درس الثلاثاء وأصدروا الرسائل والمجلات مثل رسالة المرشد، ومجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، ومجل النذير، وأنشئوا الشعب في القاهرة وفي الأقاليم وفي الخارج، في السودان، وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب، وأقاموا المؤتمرات الدورية في القاهرة، والأقاليم، وساهموا في الحركات الإسلامية كحركة مقاومة التبشير وحركة تشجيع التعليم الديني وساندوا بكل قوتهم القضية الفلسطينية وهي القضية التي كانت معبراً وجسراً عريضاً لهم إلى الحياة السياسية والإرهابية[٩٣]. وتقول كريستينا هاريس أن حسن البنا سنحت له في ثورة فلسطين ١٩٣٦ فرصة للعمل والتوسع، وأكسبه تأييده للثورة عطف مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، واتصل بحكام البلاد العربية والإسلامية وملوكها وبدأ يهاجم السياسة البريطانية، وقد اتفق هجوم حسن البنا على الإنجليز في تلك الفترة مع الحملة الفاشية ضد البريطانيين في الشرق الأوسط مما جعل البعض يعتقد أنه يعمل لحساب الإيطاليين والألمان في المنطقة[٩٤].

وفي الواقع أن البنا قد أبدى إعجابه بهتلر وموسوليني منذ وقت مبكر جداً من حركته أي في عام ١٩٢٣ فقد وصفهما بأنهما "قادة النهضات الحديثة في أوروبا" وأشاد بالاتفاقات التي عقداها مع الفاتيكان قائلاً أنها تدل على أنهما لا يحاربان الأديان والعقائد بل هما على النقيض من ذلك يؤيدانها ويثبتانها في نفوس الأمة ودعا أولئك الذين لا يزالون غارقين في سكرتهم هائمين على أوروبا اللاتينية أن يفيقوا من هذه السكرة ويفتحوا أعينهم على أوروبا الحديثة الفاتيكانية[٩٥].

وقد تكون حزب مصر الفتاة في هذه الفترة سنة ١٩٢٣ وكان أول تنظيم سياسي مصري يضع في برنامجه هدف التحالف مع الدول العربية وقد نجح زعيمه أحمد حسين في توثيق علاقاته مع بعض الوطنيين الفلسطينيين المقيمين في مصر وبشكل خاص مع محمد على الطاهر صاحب مجلة الشورى. وعندما أصدر حزب مصر الفتاة صحيفته عام ١٩٣٨ التي حملت اسم الحزب نفسه فتح صفحاتها لمحمد على الطاهر خاصة بعد أن أوقفت السلطات البريطانية صحيفة الشورى[٩٦].

obeikandi.com

وكان هناك أوجه تشابه بين حركة مصر الفتاة التي نشأت بمشروع القرش مستهدفة السعي لبناء الاقتصاد الوطني (بأسلوب غير علمي) بجمع التبرعات ومقاطعة البضائع الأجنبية، وبين حركة الشباب العربي الفلسطيني الذي عقد مؤتمره الأول في ديسمبر ١٩٢٢ وبحث تشجيع المصنوعات الوطنية ومشروع صندوق الأمة وتنشيط الحركة الكشفية ودعا للوحدة العربية والذي طالب في مؤتمره الثاني سنة ١٩٣٥ بأن تقوم نهضة الشباب على أساس (الإخلاص لله والوطن) وهو شعار شبيه بشعار مصر الفتاة كما دعا لتكوين جبهة وطنية واحدة من الأحزاب على نحو ما فعلت حركة مصر الفتاة في مصر وقتها[٩٧] وتتفق جماعة الإخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة في الملامح البارزة: فكلتا الحركتين تتخذ تنظيمات شبه عسكرية وتعادي النظم الديمقراطية الليبرالية وتتفق في اتخاذ الدين قاعدة أساسية لدعوتها[٩٨].

وبالنسبة للإخوان المسلمين فقد آمنوا بالعروبة (آمنوا بها كرابطة حضارية وليس كقومية) وآمنوا بالوحدة كخطوة أولى وأساسية نحو الوحدة الإسلامية أي أن الفكرة العربية لديهم كانت تدور في إطار الوطن الإسلامي وفكرة الجامعة الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية وما أطلق عليه حسن البنا اسم قومية "قومية الإسلام"[٩٩] وقد جاء في المبدأ الخامس من تعاليمهم أو من بين أهدافهم تحرير مصر والعالم العربي والعالم الإسلامي بأسره وطرد الحكم الأجنبي منه وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً والسير بها نحو الجامعة الإسلامية إذ أن الإخوان يعتبرون العالم الإسلامي ومن ضمنه العالم العربي وحدة لا تتجزأ وإن أي اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقي الأجزاء وإن من واجب المسلمين في سائر ديارهم مد يد العون لبعضهم وقد دعا البنا إلى القومية العربية في مواجهة القومية المصرية ولذلك كان الدين أهم مقومات القومية العربية في نظر الإخوان المسلمين، وقد كتب منظروا الإخوان وفي مقدمتهم حسن البنا نفسه أبحاثاً كثيرة في تأييد الفكرة العربية وتحديد موقف الإخوان منها ويعتبر المقال التالي تجسيداً حياً لرؤية الإخوان المسلمين للوحدة العربية وعنوانه "وحدتنا الكاملة" يقول فيه حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين ومرشدهم العام: "هذا الوطن العربي الممتد من الخليج الفارسي إلى طنجة على سعة أقطاره وانفساح مداه وحدة جغرافية لا

تفصل بينها حواجز طبيعية ... وهو كذلك وحدة روحية بسريان الإسلام في عنق أبنائه جميعاً فالمسلمون منهم يقدسون الإسلام كعقيدة ودين وغير المسلمين يعتزون به كشريعة قومية عادلة وهذا الوطن يشكل وحدة لغوية بسريان لغة العرب في ابنائه وفشوها بينهم تقدسها المحاريب في الصلوات ويخلدها كتاب الله آيات بينات وهو وحدة فكرية ثقافية بما أنه منبع الفيض الروحي في العالم كله، ومصدر الفلسفات ومهبط الوحي ومهد الشرائع والديانات، وهو وحدة اجتماعية تتشابه العادات والتقاليد فيه تشابهاً يكاد يكون تاماً في شعوبه وسكانه وتؤلف بين أبناء هذا الوطن بعد هذا كله المصالح العملية المشتركة ولا شك أن كل شعب من شعوبه يدرك الفوائد العظيمة الجليلة التي تعود عليه بعودته إلى هذه الوحدة وعودتها إليه وبخاصة في هذا الزمن الذي لا تعيش إلا الأمم المتجمعة والشعوب الموحدة المتكتلة(١٠٠).

وقد اتفق الإخوان المسلمون وجماعة مصر الفتاة في الاهتمام بالقضية الفلسطينية ولكن بينما نبع اهتمام الإخوان من إحساس عميق بحق العروبة ورابطة الإسلام فإن اهتمام مصر الفتاة كان يحركه دافع عنصري مبعثه كراهية اليهود ولذلك لم يكن حزب مصر الفتاة يفرق بين الصهيونية واليهودية بل كان يهاجم اليهود في عنف ويدعو لمقاطعتهم على صفحات جريدته.

ثانياً: أما العامل الثاني في نمو الاهتمام المصري بالفكرة العربية فهو تكوين روابط ومنظمات شعبية تعمل لخدمة التيار العربي في مصر وأبرز هذه التنظيمات وأقدمها جمعية الشبان المسلمين التي أنشأها الدكتور عبد الحميد سعيد أحد أعضاء الحزب الوطني في سنة ١٩٢٧ وكان الدافع إلى إنشائها النشاط التبشيري الذي استفز مشاعر المسلمين في مصر في نهاية العشرينات بالإضافة إلى حوادث الخروج عن الدين وحوادث نقد الإسلام في محاضرات بعض المبشرين وكتبهم مما كان له وقع عنيف، ثم إعدام عمر المختارة في ليبيا وخضوع المغرب لهجمة فرنسية دينية، كل ذلك خلق المناخ الملائم للبحث عن كيان يربط بين هذه البلاد تحت راية الإسلام، وكان الحزب الوطني الذي قاد الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى واصطبغ الفكر

open-kanaba.com

السياسي لبعض زعمائه بالفكرة الإسلامية، والذي وقف في صفوف المعارضة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ – كان أكثر استجابة لهذا الموقف(١٠١). وفي نوفمبر ١٩٢٧ شرع في إنشاء جامعة للشبان اختلف على وصفهم بالمصريين أو المسلمين وفضل المؤسسون الاسم الثاني باعتبار أن الإسلام جزء من الماضي الوطني ومن التكوين الحاضر للشرق، ورغبة في أن تمتد الحركة خارج مصر إلى الشرق، وخرجت جمعية الشبان المسلمين إلى الوجود وقد لاقت إقبالاً لدى شباب مصر المسلم ثم انتشرت دعوتها بين الشباب المسلم خارج مصر، وأصبح للجمعية في العالم التالي فروع في فلسطين وسوريا والعراق، وبدأت في فلسطين بجمعيات يافا والقدس وحيفا ثم زادت جمعياتها إلى عشرين جمعية في أوائل الثلاثينات ومع أن تلك الفروع لم تكن موحدة فإنها كانت تتعاون فيما بينها وتتبادل الرأي في المناسبات، وكثيراً ما عقدت المؤتمرات المشتركة وكان شبابها يتبادل الزيارات بين بلد وآخر ويتبادل المنشورات والبيانات ورغم نشأة الجمعية ذات الصبغة الطائفية الثقافية الاجتماعية وخلو مبادئها من أي نص سياسي.

فإن هذا لم يمنعها من أن تهتم بقضايا العرب السياسية وتسهم في معالجتها، ويمكننا ملاحظة ذلك بوجه خاص في قضية فلسطين فقد اهتم الشباب بوضع العرب في فلسطين منذ السنة الثانية لتأسيس منظمتهم وقرروا في المؤتمر العام الذي عقدوه في يوليو ١٩٣٠ الدفاع عن حق العرب في حائط البراق، ورغم أنهم تحركوا للدفاع عن تلك القضية بدافع إسلامي لا عربي فقد ساهموا في تنبيه الرأي العام المصري إلى خطورة الوضع في فلسطين، كذلك ساهمت جمعية الشبان المسلمين في تعبئة الرأي العام المصري لمساندة القضايا العربية المطروحة آنذاك وأبرزها الحملة التي قامت بها للدفاع عن المغرب سنة ١٩٣٠، وكان الفرنسيون قد ساروا شوطاً بعيداً في سياستهم لمحو عروبة المغرب عن طريق إحياء ثقافة البربر، فاحتجت الجمعية على هذه المحاولات وأرسلت عدة مذكرات إلى عصبة الأمم والدول المختلفة المعنية بالأمر كما طالبت الحكومة المصرية بالتدخل رسمياً والسعي لدى فرنسا لإيقاف تنفيذ سياستها.

obeikandl.com

وقد حرصت جمعية الشبان المسلمين على استثمار الأحداث التي مر بها العالم العربي في ذلك الحين للدعاية لصالح الفكرة العربية ولم يمنعها إيمانها بوجوب تقوية الروابط بين المسلمين، كما جاء في مواثيقها، وكانت أول مطالبة صريحة لها بالوحدة العربية سنة ١٩٢٣ في المهرجان الكبير الذي أقامته في ذكرى معركة حطين(١٠٢).

ومن المؤسسات العربية الأخرى في مصر (النادي الشرقي) الذي تأسس حوالي سنة ١٩٢٢، وكان معظم أعضائه من السوريين المقيمين في مصر، لذلك لم يعش طويلاً ولم تكن صلته بالحياة المصرية وثيقة.

كذلك شهدت هذه الفترة صدور صحف تعمل للوحده العربية مثل مجلة (الرابطة العربية) التي أصدرها أمين سعيد في مايو ١٩٣٦ وكان يهدف إلى أن تصبح همزة الوصل بين مصر والأقطار العربية تحمل إليها ما يجب أن تطلع عليه من أخبار تلك الأقطار وتحولها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وتعالج قضايا العالم العربي وترفع صوته وتدافع عن مصالحه(١٠٣).

ثالثاً: أما العامل الثالث الذي ساعد على نمو التيار العربي في مصر في الثلاثينات فهو تبني حزب الوفد للفكرة العربية واهتمامه بالقضية الفلسطينية وقد كان موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية المصرية وجهاده ضد الاستعمار يزيده مع الوقت قرباً مع حركات التحرر بشكل عام والحركات الوطنية في العالم العربي بوجه خاص، وقد ساعدت قاعدته الشعبية العريضة على سرعة الاستجابة لمشاعر الجماهير المتعاطفة مع القضية الفلسطينية وخصوصاً بعد وقوع حادث البراق ١٩٢٩. وقد حضر الوفد المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس ١٩٣١ للبحث في إنقاذ فلسطين، وقد اجتمع المندوبون العرب أثناء انعقاده وحدهم وقرروا الدعوة إلى مؤتمر عربي قومي لم يتيسر عقده(١٠٤). وقد ألقى عبد الرحمن عزام ممثل الوفد رسالة مصطفى النحاس إلى المؤتمر باسم مصر والوفد كما انتخب ممثل الوفد في عضوية اللجنة التنفيذية والأمانة العامة للمؤتمر، وكان أبرز القرارات التي اتخذها المؤتمر الدعوة إلى توحيد البلاد العربية، واستنكار تجزئة فلسطين وتأسيس مصرف عربي

لمنع بيع الأراضي إلى اليهود، وإنشاء جامعة عربية بالقدس وكان من أهم ما أسفر عنه هذا المؤتمر اقتراب حزب الوفد المصري من القضايا العربية ومشاركته في بحثها وفي الدعوة لحلها.

وفي عام ١٩٣١ زار مكرم عبيد في رحلة صيفية سوريا ولبنان وفلسطين وتحدث في ذلك الحين عن الوحدة العربية، وأكد عروبة المصريين وعزز رأيه ببعض الأسانيد التاريخية (لأن المصريين جاءوا من آسيا وهم أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية[١٠٥]).

ويشير الدكتور أنيس صايغ إلى خطب مكرم عبيد في بيروت ودمشق وشتورة والقدس وعكا ويافا ويقول إن من يطالع نصوصها الكاملة حسبما سجلها مراسلو الصحف آنذاك يعجب لصاحبها في مهاجمة الآراء الفرعونية الخيالية ومهاجمة أصحابها من مسلمين ومن أقباط ثم يعجب لبراعته في تحليل عروبة مصر وفي تعقب التراث العربي في مصر إلى أقدم العهود[١٠٦].

وفي عام ١٩٣٦ وعلى يد الوفد أنتقل الاهتمام بقضية فلسطين من الصعيد الرسمى إلى الصعيد الرسمي، فقد نشبت الثورة الفلسطينية الكبرى في ابريل ١٩٣٦ بينما كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجري لحل القضية المصرية وقد عقد النحاس باشا مع المستر أيدن جلسة خاصة ناقش فيها المسألة الفلسطينية وبين له أن مشروع التقسيم لا يمكن أن يكون حلاً مرضياً كما أوضح أن (موطن الحرج في موقف الأمم المجاورة لفلسطين هو أنها لا يمكن أن تغفل عن المحنة التي يعانيها القطر الشقيق) ثم ترك النحاس باشا للصحف المصرية الحرية في نشر أخبار الثورة الفلسطينية والإشادة ببطولات الفلسطينيين وإبراز تعاطف الشعب المصري ومشاركته لهم[١٠٧].

مراجع وهوامش

١. أنيس صايغ – الفكرة العربية في مصر، بيروت ١٩٥٧ ص١١٧.
٢. محمد عمارة – الأعمال الكاملة للأفغاني- دار الكاتب العربي- القاهرة ١٩٦٨ ص٣٤.
٣. د.أحمد سويلم العمري- المجتمع العربي وتطوراته الاجتماعية والسياسية –الأنجلو – القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٦ – ص ٢٠٧.
٤. العروة الوثقى مجموعة مقالات وأخبار – المكتبة الأهلية – القاهرة ١٩٢٧.
٥. ساطع الحصري – ما هي القومية ص ٢٥٨ نقلاً عن محمد عمارة – العروبة في العصر الحديث – دار الكاتب العربي – القاهرة ١٩٦٧.
٦. عبد العظيم رمضان – تطور الحركة الوطنية ١٩١٨ – ١٩٣٦ – دار الكاتب العربي – القاهرة ١٩٧٢ – ص٣٦.
٧. عبد العظيم رمضان – تطور الحركة الوطنية -١٩٣٧ – ١٩٤٨ – الوطن العربي – بيروت – ١٩٧٢ – ص ٢٨٤.
٨. د. يونان رزق – الحياة الحزبية في مصر ١٨٨٢- ١٩١٤- القاهرة – ص١٧.
٩. د. أحمد عبد الرحيم مصطفى – تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة – القاهرة ١٩٧٤- ص ٧٢.
١٠. المصدر السابق ص ٧٧.
١١. عبد العظيم رمضان – الحركة الوطنية من ١٩٣٧ – ١٩٤٨ مصدر سابق ص٢٨٥.
١٢. عبد الرحيم مصطفى – مصدر سابق ص ٧٨.
١٣. عبد العظيم رمضان – الحركة الوطنية من ١٩٣٧ – ١٩٤٨ – ص ١٨٦.
١٤. المنار الجزء ٣ مجلد ٩ ص ١٥١- ١٥٢ – ١٩١٦.
١٥. مجلة العصور يوليو ١٩٢٨.
١٦. د.حسني الخربوطلي- القومية العربية من الفجر إلى الظهر ص١٥٩ نقلاً عن محمود فياض، الصحافة الأدبية في مصر فترة ما بين الحربين، رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٢٣٢.
١٧. الوقائع المصرية ١٩ ديسمبر ١٩١٤.

obeikandl.com

١٨. مجلة المعرفة أكتوبر ١٩٣١.

١٩. السياسة الأسبوعية العدد الأول ٢٠ أكتوبر ١٩٢٢.

٢٠. رشيد رضا – الإمام المجاهد – ص١٢٩ سلسلة أعلام العرب ٣٢.

٢١. الفتح، العددان ٢١٤، ٢١٥.

٢٢. محمود فياض – الصحافة الأدبية في مصر فترة ما بين الحربين، رسالة دكتوراه غير منشورة – ص ١١٤.

٢٣. د.أنيس صايغ – الفكرة العربية في مصر – بيروت ١٩٥٧ – ص٨٧.

٢٤. د.عبد الرحمن البزاز – بحث في القومية العربية – بيروت ١٩٥٨ – ص ٢١٨.

٢٥. د.أنيس صايغ – مصدر سابق ص ٨٩.

٢٦. صلاح عيسى – الثورة العرابية – القاهرة ١٩٧٢ ص ٢١٣.

٢٧. د. عبد الرحيم مصطفى – تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة – معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٧٣ – ص٤٧.

٢٨. المصدر السابق ص ٤٨.

٢٩. د. أنيس صايغ – مصدر سابق ص ١٢٩.

٣٠. د. عبد الرحيم مصطفى – مصدر سابق ص ٤٩.

٣١. صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٧.

٣٢. صدر سنة ١٩٥٣.

٣٣. محمود فياض – مصدر سابق ص٢٥٦.

٣٤. د. أنيس صايغ – مصدر سابق ص ١٣١-١٣٤.

٣٥. المقتطف – تراث مصر القديمة- مقال للأستاذ حسين مؤنس- سبتمبر ١٩٣٩ – ص٣.

٣٦. المقتطف مارس ١٩٢٦.

٣٧. أنور الجندي – الصحافة السياسية في مصر فترة ما بين الحربين – القاهرة ١٩٦٢

٣٨. أنيس صايغ – مصدر سابق ص١٩٣٦.

٣٩. أحمد طربين – الوحدة العربية ١٩١٦-١٩٤٥- القاهرة ١٩٦٨ ص ١٨٩-١٩١.

٤٠. محمد عوض محمد – نهر النيل – القاهرة ١٩٥٤ ص١٣٨.

obeikandi.com

٤١. د. عبد الرحيم مصطفى – تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة – معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٧٣ – ص٨٦.
٤٢. المصدر السابق ص ٨٧.
٤٣. د. محمد أنيس ورجب حراز – التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث – النهضة العربية – القاهرة ١٩٧٢ – ص ١٠٨.
٤٤. المصدر السابق – ص١١٤.
٤٥. ذوقان قرقوط – تطور الفكرة العربية في مصر – رسالة ماجستير ١٩٧١- جامعة القاهرة- ص ١٢٢.
٤٦. المصدر السابق – ص١٢٨.
٤٧. محمد عمارة – العروبة في العصر الحديث – دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧ – ص ١٥٨.
٤٨. جاكوب لانداو – الحياة النيابية والأحزاب في مصر من ١٨٦٦- ١٩٥٢ ترجمة سامي الليثي – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٧٤ – ص٨٢.
٤٩. صلاح عيسى – مصدر سابق ص ٢٩.
٥٠. محمد عمارة مصدر سابق ص ٢٧٥.
٥١. صلاح عيسى مصدر سابق ص ٣٠١.
٥٢. عبد العظيم رمضان – تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧-١٩٤٨، الجزء الثاني – الوطن العربي – بيروت ١٩٧٣ ص ٣٣٣.
٥٣. المصدر السابق ص ٣٣٤.
٥٤. لطفي السيد – تأملات في الفلسفة والسياسة والاجتماع نقلاً عن محمد عمارة – مصدر سابق ص١٦٠.
٥٥. د. حازم نسيبة، القومية العربية (فكرتها – نشأتها – تطورها) بيروت ١٩٥٩- ص ١٦٠.
٥٦. أنيس وحراز مصدر سابق ص ٢٩٥.
٥٧. المصدر السابق ص ٣٠١.
٥٨. المصدر السابق ص ٣٠٩.
٥٩. عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٣٣٥.

obeikandl.com

٦٠. د. أنيس صايغ – الفكرة العربية في مصر – بيروت ١٩٧٥ ص ٨٩.
٦١. المصدر السابق ص ٩١.
٦٢. محمد أنيس مصدر سابق ص ٣٠٤.
٦٣. الأستاذ – السنة الأولى ٢ يناير ١٨٩٣.
٦٤. المصدر السابق
٦٥. انيس صايغ – مصدر سابق ص ١١٢
٦٦. الأستاذ – السنة الأولى ٢ يناير ١٨٩٣
٦٧. أنيس صايغ مرجع سابق ص١٩٣.
٦٨. محمد أنيس الجذور التاريخية لثورة يوليو ص ٩٦.
٦٩. عبد القادر ياسين: بحث عن موقف الشيوعيين المصريين من القضية الفلسطينية غير منشور.
٧٠. عبد الرحيم مصطفى مصدر سابق ص ٦٢.
٧١. أنيس صايغ مصدر سابق ص ٢١٠.
٧٢. عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٣٣٧.
٧٣. المصدر السابق ص ٣٣٨.
٧٤. د. عبد العظيم رمضان. مصدر سابق.
٧٥. محمد حسين هيكل، مذكرات ج ١ ص ١٠٤.
٧٦. المصدر سابق ص١٠٥.
٧٧. الرابطة الشرقية ١٥/١٠/١٩٢٨.
٧٨. المصدر السابق.
٧٩. ملحق السياسة الأدبي ١٤ أكتوبر ١٩٣٢- مقال لعبد الوهاب عزام (واجب الشرقيين اليوم).
٨٠. أنيس صايغ مصدر سابق ص ٢٠٢.
٨١. ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية، نقلاً عن محمد أنيس ورجب حراز- التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث – ص٣١٣.
٨٢. عبد العظيم رمضان: الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧-١٩٤٨ الوطن العربي – بيروت- ص ٣٤٤.

٨٣. عبد القادر ياسين: بحث مصر والقضية الفلسطينية، غير منشور ص٩.

٨٤. طارق البشري: الحركة السياسية في مصر من ١٩٤٥-١٩٥٢ ص ١٢٢ الكاتب العربي – القاهرة ١٩٢٧ ص ١٣٧.

٨٥. السياسة الأسبوعية: ٧ سبتمبر ١٩٢٩.

٨٦. السياسة الأسبوعية: ٢٨سبتمبر ١٩٢٩.

٨٧. البلاغ: ٢٨ أغسطس ١٩٢٩.

٨٨. السياسة اليومية: ٥ أكتوبر ١٩٣٠.

٨٩. طارق البشري: مصدر سابق ص ٦٨، محمد أنيس وحراز ص ١٩٤.

٩٠. عبد العظيم رمضان: مصدر سابق ص ٣٠٠.

٩١. طارق البشري: مصدر سابق ص ٦٩.

٩٢. د. عبد الرحيم مصطفى: تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة – القاهرة ١٩٧٣.

٩٣. حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية – ص ١٤٤ – ١٤٥. د اسحق الحسني: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة ص ٢٢.

94. Christina Harris : National and Revolution In Egypt London, 1968. p.182.

٩٥. جريدة الإخوان المسلمين (جمادي الأولى ١٣٥٢ – ١٩٣٣)

٩٦. أحمد حسين إيماني: الطبعة الثانية / القاهرة ١٩٧١ ص٦٦.

٩٧. عيسى السفري: فلسطين بين الانتداب والصهيونية – الجزء الأول ص ١٩٥.

٩٨. عبد العظيم رمضان مصدر سابق ص ٣١٢.

٩٩. مجلة الأخوان المسلمين: ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ مقال لحسن البنا – بعنوان (قومية الإسلام).

١٠٠. مجلة الإخوان المسلمين: ٢٢ ذي القعدة ١٣٦٢هـ.

101. H . Gibb :Within Islam. London 1951, P.121.

١٠٢. د.أنيس صايغ: الفكرة العربية في مصر ص ١٩٨.

١٠٣. مجلة الرابطة العربية: العدد الأول ٢٧ مايو ١٩٣٦.

١٠٤. عبد العظيم رمضان: الحركة الوطنية ١٩٣٧-١٩٤٨-ص ٣٥٢.

١٠٥. الهلال إبريل ١٩٣٩.

١٠٦. أنيس صايغ: مصدر سابق ١٧٣.

١٠٧. المصور: ٣٠ أكتوبر: ٣٠ أكتوبر ١٩٣٦.